الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

العدول الصرفي في القرآن الكريم

دراسة دلالية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي في الغة العربية وآدابها
تخصص لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبة:
فتحي حفصة

إشراف الأستاذة:
بولحية صبرينة

السنة الجامعية: 2023/2022

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

[الأنبياء: 10]

إهداء

أهدي هذا العمل:

إلى والديّ الكريمين اللذين غرس فيّ حب القرآن وحب العلم.

إلى إخوتي وأخواتي وإخواني.

إلى عشاق اللغة العربية لغة التنزيل.

شكر وعرفان

إنّي أشكر الله تعالى أولا وأخيرا أن وفقني بفضله ومنّه إلى إتمام هذا العمل،و أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الخالص إلى الأستاذة المشرفة بولحية صبرينة على رعايتها هذا البحث وتوجيهه . وبعد أستاذتي أتوجه صادقة إلى الأساتذة الأفاضل الذين قبلوا القيام على تقويم هذا العمل بخالص الشكر والتقدير، وكل من قدم إليّ يد العون والمساعدة.

وأسال الله الذي لا يضيع أجر العاملين والمحسنين أن يجعله في ميزان حسناتهم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله النبي الصادق الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد

لما أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداصلى الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين، وجعله خاتم النبيين ، أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه من المرسلين، وخصه بمعجزة عقلية خالدة، وهى إنزال القرآن الكريم، الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وكان ذلك في زمان سما فيه شأن البيان، وجلت مكانته في صدور أهله، وعرفوا باللسن والفصاحة، وقوة العارضة في الاعراب عن خوالج النفوس، والابانة عن مشاعر القلوب.

وقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه، وحير ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه، فمنهم من آمن به ومنهم مكفر، وافترقت كلمة الكافرين على وصفه، وتباينت في نعته، فقال بعضهم، هو شعر، وقال فريق: إنه سحر، وزعمت طائفة أنه أساطير الاولين اكتتبها محمد، فهى تملى عليه بكرة وأصيلا، وذهب قوم أنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون. وقال غير هؤلاء وهؤلاء: لو نشاء لقلنا مثل هذا.

ولكنهم لم يقولوا هم ولا غيرهم لأن تأليف القرآن البديع، ووصفه الغريب، ونظمه العجيب،فقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه وعلا وسما على كل أسلوب.

ولعل من بين أساليبه المعجزة هو أسلوب العدول الصرفي، وهو عبارة تبادل الأدوار بين الصيغ الصرفية المختلفة ، وهذا العدول يحمل في طياته وأسرار ولطائف لا يمكن أن تتأتى في الصيغة المعدول عنها، وعليه جاءت دراستنا الموسومة" **العدول الصرفي في القرآن الكريم دراسة دلالية"**

الإشكالية: ماهو العدول الصرفي؟ وماهي أنوعه وصوره؟ وماهي غاياته؟ وماهي أسرار ولطائف العدول الصرفي في القرآن الكريم؟

أهداف البحث: يرمي هذا البحث إلى الكشف عن أسرار التناوب بين الصيغ الصرفية في القرآن الكريم.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في توضيح ماهية العدول الصرفي، وحصر أنواعه ومعرفة غاياته و أبعاده ، والكشف عن بلاغة العدول الصرفي في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة: اعتمدت في بحثي على الدراسات القديمة كالكتب التفاسير الذين تناولوا هذه الظاهرة من زاوية المعنى على نحو ما نجد في " الكشاف" أو تفسير

القرطبي، أو النسفي أو غير ذلك من التفاسير، التي تستهدف المعنى أولا و أخيرا، وكذا في كتب البلاغة وعلوم القرآن، كالذي في دلائل الإعجاز أو البرهان أو الإتقان أو غير ذلك من التأليف التي عرضت لبعض مباحث الموضوع " مشكل القرآن" و " مجاز القرآن" و "المذكر والمؤنث" للفراء وغيرهم.

وأما الدراسات الحديثة فقد أفدت كثيرا من كتاب الاعجاز الصرفي في القرآن ، وهو بحث منشور لعبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، وكذلك رسالة دكتوراه بعنوان العدول الصرفي في القرآن الكريم سنة 2005، للباحث هلال علي محمود الجحيشي، ورسالة أخرى بعنوان العدول عن الأصول في الصرفي العربي سنة 2006، للباحث مقبل عايد السالم، ورسالة أخرى دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم ، سنة 2014، للباحث عبد الناصر مشري، بالإضافة إلى المقالات والبحوث المبثوثة في المجالات التي كانت غالبا ما تخوض غمار البحث عن نوع أو شكل واحد من أشكال العدول الصرفي.

دواعي اختيار الموضوع:

الميل الشخصي إلى الدراسات القرآنية وما أجده فيها من متعة لغوية وأسرار بيانية تنبئ على أن هذا القرآن كتاب احكمت آياته من لدن حكيم خبير،و الرغبة في فهم بلاغة النص وبيان وجوه إعجازه.

الرغبة في الوقوف على صور هذه الظاهرة وأبعادها الدلالية والجمالية في التعبير القرآني ، فالعدول ظاهرة بلاغية تبرز وجها من وجوه الاعجاز القرآني، وتدلل على ما وهب المولى عزوجل " اللغة العربية " لغة التنزيل من إمكانيات متعددة، وقدرات فائق في التصرف وتعدد الدلالات.

حاجة المكتبة اللغوية إلى مؤلف يجمع شتات هذا الموضوع التي تناثرت بين كتب التفسير وعلوم القرآن وتصانيف الصرف والبلاغة، إذ لم يفرد بمؤلف خاصة يقدمه تقديما متكاملا

صعوبات البحث:

إن البحث في النص القرآن فيه من المتعة والفائدة بقدر ما فيه من المطبات والمحاذير، أمّا المتعة والفائدة فتتجلى في الوقوف على إحكام النص وما فيه من بلاغة وإعجاز ، وأمّا المطبّات و المحاذير التي تحف الخوض في النص القرآني ففي مقدمتها الخوف من الإجتراء على كتاب الله والقول فيه بغير علم فقد روي عن أبي بكر أنه لما سئل عن معنى قوله (وفاكهة وأبا) فقال: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

مَا لَا أَعْلَمُ!، فهناك صعوبة في التعامل من النص المقدس ليس من إنتاج البشر، فحّد هذا التقدس من حرية التأويل والتفسير للعدول.

خطة البحث: تتكون من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

مقدمة: شرحت فيها وجاهة الموضوع وخطته ودوافع البحث فيه.

مدخل: وقد شرحت فيه المصطلحات المتعلقة بالبحث.

الفصل الأول: عرضت فيه الدلالة الصرفية وأنواع العدول وغاياته في ثلاث مباحث أما الأول فكان تحت عنوان الدلالة الصرفية، وأما الثاني فكان تحت عنوان أنواع العدول الصرفي، وأما الثالث فكان تحت عنوان غايات العدول.

الفصا الثاني: رصدت فيه صيغ لنماذج العدول الصرفي في القرآن الكريم وجعلته في ثلاث مباحث، فخصصت الأول للعدول الاسمي، والثاني للعدول الفعلي، والثالث عرضت فيه أنموذج العدول الصرفي في سورة الكافرون والأيات الأولى من سورة النازعات.

خاتمة: لخصت فيها أهم الملاحضات والنتائج التي خلُص إليها البحث مرتبة حسب الفصول والمباحث.

منهج البحث:

تطلب منهج البحث أن يكون وصفيا استقرائيا من خلال تتبع مواطن العدول من خلال المصحف وكذلك بما أشار إليه المفسرون واللغويون في كتب التفسير والبلاغة ومحاولة جمع بعض من لطائف العلماء وتفاسيرهم وتعليقهم حول ظاهرة العدول الصرفي.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88]

مدخل

مفهوم العدول

مفهوم الصرف

مفهوم العدول الصرفي

مفهوم الدلالة الصرفية

إن العدول في التعبير القرآني من وجوه إعجاز القرآن، فهو كتاب احكمت آياته من لدن حكيم خبير، لذا فألفاظه اختيرت بعناية شديدة، ولا يمكن أن تفهم إختيار المفردة القرآنية إلا من خلال دراسة العدول إليها عن غيرها لزيادة فيها، أو خصيصة بيانية يحتاجها السياق، فكل صيغة تحمل معها دلالة لا تحملها صيغة أخرى، وكمثال على ذلك كلمة (قسط) حيث تطلق لفظة قاسط للجائر ومقسط للعادل، فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل[1].

لذلك فإن العدول من صيغة إلى أخرى يخلق المعاني الجديدة والنكت اللطيفة ويجلي الأغراض المقصودة وثراء المعنى،ماليس في غيره، والقرآن الكريم أجود النصوص سبكا وأعلاها بلاغة وأكثرها معنى، فهو كتاب لاتفنى عجائبه ولاتنفد غرائبه.

وأنواع العدول في القرآن كريم متنوعة على حسب مستويات اللغة، فهناك العدول الصوتي والعدول الصرفي والعدول النحوي ، وقد اقتصرنا بحثنا على العدول الصرفي وبيان نكته وبلاغته.

١- مفهوم العدول:

أ- العدول لغة:

يدل العدول في اللغة على الميل أو الرجوع أو الاعوجاج يقول ابن فارس: « (عَدَلَ) الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ.... فيقال في الاعوجاج عدل أو انعدل أي انعرج»[2].وقال ابن منظور: « وعدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا حاد وعن الطريق جار، وعدل إليه عدولا رجع...وعدل عن الطريق مال»[3].

وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تُعْدَل سارِحتُكم أَي لَا تُصْرَف مَاشِيَتِكُمْ وتُمال عَنِ المَرْعى وَلَا تُمنَع»[4].

وعَدَلَ الفحلُ عَنِ الإِبل إِذا تَرَك الضِّراب، وعَدَلَ بِاللَّهِ يَعْدِلُ: أَشْرَك. والعَادِل: المُشْرِكُ الَّذِي يَعْدِلُ بربّه؛ وَمِنْهُ قَوْلُ المرأَة للحَجَّاج: «إِنك لقاسطٌ عَادِلٌ؛ قَالَ الأَحمر:

([1]) ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،ط1، 2008. ص8.

([2]) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، 1979، مادة (عدل).

([3]) ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ط18، 1414هـ ، مادة (عدل).

([4]) الهروي، غريب الحديث،تح: محمد خان، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1976، 416/1.

عَدَلَ الكافرُ بربّه عَدْلًا وعُدُولًا إذا سَوَّى بِهِ غيرَه فعبَدَهُ» ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾أَي يُشْرِكون [الأنعام: 01].

تدل كلمة العدول على الميل والانصراف والانحراف، وأن هذه الدلالة المعجمية توحي بالدلالة الاصطلاحية لمفهوم العدول الأسلوبي الذي يقصد به الخروج عن المتعارف عليه في النظام اللغوي، أو الميل عن النظام أو الأصل اللغوي[1].

ب- العدول اصطلاحا:

-العدول عند العلماء العرب القدامى: إن الدارسين العرب تنبهوا لظاهرة العدول من قبل حين لاحظوا الانتقال من أسلوب إلى آخر، ومن صيغة إلى أخرى وقد أطلقوا على الظاهرة عدة تسميات منها الانتقال، والمجاز، والنقل، والرجوع والانحراف، والتحريف، والتجاوز، والالتفات، والعدل، والصرف والانصراف والتلون ومخالفة مقتضى الظاهر، والشجاعة العربية والحمل على المعنى ونقض العادة وغيرها من التسميات التي تعبر عن العدول أو خرق السنن اللغوية المألوفة.

فقد عنى اللغويون بدراسة الأسلوب القرآني الذي بهر العقول وحير الألباب حيث جاء وفق ما كان جاريا في أساليب العرب في كلامهم وقد ورد في مؤلفاتهم على إطلاق تسمية العدول والانزياح، الانحراف الخرق، والخروج عن سنن اللغة ، المجاز، الالتفات.

فقد صنف أبو عبيدة (ت 209ه) كتابا سمّاه "مجاز القرآن" ومعنى هذا أن كلمة «المجاز» عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن فى تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة «المجاز» فيما بعد «وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي،فإن أبا عبيدة يستعمل فى تفسيره للآيات هذه الكلمات: «مجازه كذا» ، و «تفسيره كذا» ، و «معناه كذا» ، و «غريبه» .

﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:1-2] معناه: هذا القرآن وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب[2].

([1]) عبد الحميد هنداوي، الاعجاز الصرفي في القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008، ص 141.

([2]) مجاز القرآن، أبي عبيدة، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 28/1.

وتناول ظاهرة العدول في القرآن الكريم الفراء (ت 207ه)في كتابه "معاني القرآن" وإن لم يذكر مصطلح العدول، بل كان وأدرجها تحت مجاز القران ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج :19]. قال الفرَّاء : «لم يقل اختصما لأنهما جمعان ليس برجلين ولو قيل اختصما صوابا».[1]

وكذلك الأصمعي (ت216ه) حيث قال: إن الشيء إذا فاق في حسنه قيل له خارجي، وكذلك تناول ظاهرة العدول أبو الحسن الأخفش(ت215) في كتابه "معاني القرآن"، وابن قتيبة (ت266ه) في كتابه "تأويل مشكل القرآن " في عنوان" باب مخالفة الظاهر معناه"، والمبرد (ت 285) في كتابه "الكامل في اللغة والأدب"، والفارسي(ت395ه) في كتابه "الصاحبي"، وابن المعتز (296ه) في كتابه "البديع"، وقدامة ابن جعفر (ت377ه) في كتابه "نقد الشعر"، وأبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين و الباقلاني (403ه) في كتابه "إعجاز القرآن الكريم "، والثعالبي (430ه) في كتبه فقه اللغة ، والقيرواني في كتابه "العمدة ".

والرماني في كتابه "النكت في إعجاز القرآن حيث نلفيه يقول : « إن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الرسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتي القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة»[2]، فقصد نقض العادة أو العدول عن الكلام المتعارف عليه في الأنواع الأدبية وغير الأدبية من كلام البشر، فقد استعمل مبدأ نقض العادة لبين الأسلوبية النوعية للقرآن.

واستعمل عبد القاهر الجرجاني مصطلح العدول في وصف الكلام الأدبي إلى جانب القول الشعري العادي واللحن فقال : «إعلمْ أَنَّ الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين: قسمٌ تُعزى المزيةُ والحسْنُ فيه إِلى اللفظِ وقسمٌ يعزى ذلك فيه إلى النظم.

فالقسم الأول: "الكناية" و "الاستعارة" و "التمثيل الكائن على حَدِّ الاستعارة"، وكلُّ ما كان فيه، على الجملةِ، مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر، فما مِنْ ضَرْبٍ من هذه الضُّروب إلاَّ وهو إِذا وقَعَ على الصواب وعلى ما يَنْبغي، أَوْجَبَ الفضْلَ والمزيَّةَ.

([1]) الفراء،معاني القران،تح: احمد يوسف النجاتي ،محمد علي النجار،دار المصرية للتأليف والترجمة –مصر-ط1 (دت) ، ج2/ 221

([2]) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تح: المحمد زغلول، دار المعارف، مصر، دط، دت ص 12.

فإذا قلتَ: "هو كثيرُ رمادِ القدْر"، كان له موقعٌ وحظٌّ من القَبول لا يكون إذا قلتَ: "هو كثيرُ القِرى والضِّيافة".

وكذا إذا قلتَ: "هو طويلُ النِّجاد"، كان له تأثيرٌ في النفس لا يكون إذا قلتَ: "هو طويلُ القامة".وكذا إذا قلتَ: "رأيتُ أسداً"، كان له مزيةٌ لا تكونُ إذا قلتَ: "رأيتُ رجلاً يُشبهُ الأسدَ ويُساويه في الشجاعة»[1].

ويرى القرطاجني أن قيمة العدول في إثارة المفاجأة « ولما كانت النفوس تحبّ الافتنان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدد الكلام عليها، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه»[2]

فالقرطاجني يرى أن عنصر المفاجأة والمجيئ بما هو غير متوقع وبما لم يتعارف عليه يشكل خروجا عن النمط المألوف، وهذا مايراه العلماء المحدثون .

وأما ابن الأثير(637ه) فنلفيه يقول: « واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان، أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة»[3].

ويذكر العلوي في تعريفه لفن بلاغي يدعى الالتفات « ومعناه فى مصطلح علماء البلاغة، هو العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثانى إنما هو مقصور، على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضى إلى المضارع، وقد يكون على عكس ذلك، فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره»[4].

والعدول أعم من الالتفات البلاغي كما استقر عند البلاغين المتأخرين لأن كل التفات عدول وليس كل عدول التفات.

([1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5،، 429/1، 430.

([2]) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح/ محمد حبيب، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1966، ص 361.

([3]) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي علبانة، دار نهضة، مصر للطابعة والنشر،145/2

([4])حمزة بن يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز، المكتبة العصرية بيروت،ط1، 71/2.

وبهذا نجد أن علماء العرب قد تنبهوا لظاهرة العدول عند دراستهم لكتاب الله المعجز بما يزخر به من روائع بيانية فريدة، وكذا دراستهم للشعر العربي .فمنهم من أطلق الأنماط غير مألوفة في أساليب التعبيرية المجاز ومنهم من سماها مخالفة مقتضى الظاهر ومنهم من عبر عنها بالرجوع أو الانتقال ومنهم من أطلق عليها بالعدول، وغيرها من التسميات التي أطلقت على التعبيرات التي تخالف النمط المألوف أو العادي.

- **العدول عند المحدثين:** لم يبق العدول حبيس عند العلماء القدامى فقط، وإنما عرف توسعا عند العلماء المحدثين، ومن بينهم عبد السلام مسدي الذي يقابل مصطلح العدول بمصطلح الانزياح إذ يقول : «عبارة الانزياح ترجمة حرفية للفظة على أن مفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة للتجاوز أو نحي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدود وهي عبارة العدول وعن طريقة التوليد المعنوي قد نصطلح بما على مفهوم العبارة الأجنبية»[1].

ومن بين العلماء المحدثين الذي تعرضوا لموضوع العدول نجد تمام حسان الذي ظل متشبتا بمصطلح العدول الذي عند العلماء القدامى فهذا الأخير تناول موضوع العدول في كتابه الأصول إذ يقول: «ويمكن للعدول عن أصل وضع الجملة أن يكون بالعدول عن أي واحد من هذه الأصول بواسطة الحذف أو الاضمار أو الفصل أو التشويش، الرتبة بالتقديم والتأخير أو التوسع في الاعراب وهذا العدول إما أن يكون مطردا أو غير مطرد»[2]. وتارة أخرى يعرفه ويقول: « أن العدول هو خروج عن الأصل القاعدة، ولكن هذا العدول وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها»[3].

أما صلاح فضل فلقد تطرق إلى موضوع العدول متخليا عن مصطلحه الحقيقي ألا وهو العدول إلى مرادف وهو الانحراف أثناء تعربفه للأسلوب إذ يقول: «إن الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما»[4]. وهذا ما أكده الدكتور عبد المطلب: « العدول هو

([1]) عبد السلام مسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2006،ص 162,163

([2]) تمام حسان الأصول ، دراسة ابستمولوجية الفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، ط2، 2000 ، ص 130.

([3]) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1، 2002، 77/2.

([4]) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه و إجرائته، دار الشروق، ط1 1996، ص 208.

رصد انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف، أو كما يقول كوهين الانتهاك الذي يحدث في الصياغة والذي يمكن بواسطه التعرف على طبيعة الأسلوب بل أيما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته»[1].

ويطلق اللسانيون والمحدثون على هذا المفهوم تسميات كثيرة قال المسدي : «هذا العدول قد عبر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها الانحراف، والانزياح، والانحلال، الانتهاك، التجاوز، المخالفة، اللحن، خرق السنن، الشناعة ،الاطاحة، التحريف ..... »[2].وعرّفه تودروف بأنه « لحن مبرر ما كان ليوجد لو أن اللغة الأدبية كانت تطبيقا كليا للأشكال النحوية الأولى»[3]، واعتبره ريفاتير« انزياحا عن النمط التعبيري المتواضع عليه تارة بخرق القاعدة وأخرى باللجوء إلى النادر من الصيغ»[4].

فالعدول هو« مجاوزة السنن المألوفة بين الناس في محاورتهم وضروب معاملاتهم لتحقيق سمة جمالية تمتع القارئ، وتطرب السامع وبها يصير نصا أدبيا»[5].ذلك أن هناك شبه اتفاق على أن في " العدول" معنى الخروج أو التحول عن المألوف ونقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر مطلقا ، هذا الانتقال له أثر الفني والجمالي في النص الأدبي، فالصيغة المعدول عنها تمثل اللغة في مستواها الفني.

2- مفهوم الصرف:

أ- الصرف لغة:

صرف: الصَّرْفُ: رَدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ. تصْرِيفُ الرِّياحِ صَرْفُها مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، وصَرْفُ الدَّهْرِ: حِدْثانُه ونَوائبُه. والصَّرْفُ: حِدْثان الدَّهْرِ، اسْمٌ لَهُ لأَنه يَصْرِفُ الأَشْياء عَنْ وجُوهها؛وصَرْفُ الْحَدِيثِ: تَزْيِينُه والزيادةُ فِيهِ[6].

([1]) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان، بيروت، الشركة العالية للنشر، ط1، 1997، ص 268.

([2]) عبد السلام المسدي ، المرجع السابق، ص 90.

([3]) عبد السلام المسدي،المرجع السابق، ص 52.

([4]) المرجع نفسه، ص 82

([5]) عبد الموجود متولي بهنسي، العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، ،ط1، 1993، ص5.

([6]) لسان العرب ابن منظور، مادة صرف،

ومنه فالمعنى الصرف لغة التغيير والتحويل والتقليب وهذه المعاني وثيقة الصلة بالمعنى الاصطلاحي لعلم الصرفي الذي يعني بالكلمة وما يطرأ من التغييرات .

ب- الصرف اصطلاحا :

الصرف هو « أن تصرف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعان متفاوتة»[1]، وهو أيضا «علم يُعرف به تحول الأَصلِ الواحدِ إلى أمثلةٍ مختلفةٍ لمعانٍ مقصودةٍ لا تحصل إلا بها»[2]،فالصرف علمٌ بأصولٍ تُعرَف بها صِيغُ الكلمات العربية واحوالُها التي ليست بإعراب ولا بناء.

فهو علمٌ يبحثُ عن الكَلِم من حيثُ ما يَعرِضُ له من تصريف وإعلال وإدغام وإبدال وبهِ نعرِف ما يجب أن تكون عليهِ بنيةُ الكلمة قبلَ انتظامها في الجملة.

وموضوعهُ الاسمُ المتمكن (أي المُعرَبُ) والفعلُ المُتصرِّف. فلا يبحث عن الأسماء المبنيَّة، ولا عن الأفعال الجامدة، ولا عن الحروف[3].

3- *العدول الصرفي:*

هو ترك الوزن القياسي لوزن آخر للدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول،أو هو ترك صيغة المتوقعة إلى صيغة غير متوقعة، فتحدث مفاجأة أسلوبية ينجر عنها زيادة في المعنى ما لم يكن في الصيغة الأولى[4]، فتأمل في قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص :71] ، فعدل عن الفعل المضارع وهو " سأخلق " إلى اسم الفاعل " خالق" للفارق الدلالة التي بين الفعل المضارع واسم الفاعل ، وذلك لأن الله نافذ أمره.

وقد ينوب الفعل الماضي عن المضارع والعكس، وكلاهما ينوبان عن الأمر والعكس، وكذلك اسم الفاعل ينوب عن المفعول والعكس واسم الفاعل ينوب عن المصدر والمصدر ينوب عن المفعول والعكس.

([1]) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، تح: علي توفيق، مؤسسسة الرسالة، بيروت ط1 1987، 26/1.

([2]) أحمد محمد الحملاوي، شذى العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة رشد، الرياض، دط، دت، ص5.

([3]) مصطفى الغلايين، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط28، 1993، ص8.

([4]) ماجدة صلاح حسين، جامعة السابع من إبريل، المجلة الجامعة، العدد الحادي عشر، 2009، ص *18*.

فكل زيادة في بناء صيغة الكلمة الصرفية تستوجب زيادة في الدلالة، فاللغة العربية لغة مطاوعة مرنة يمكن اشتقاق عدد كبير من المفردات.

وإذا كان علماءنا العرب قد تنبهوا بالعدول في القرآن الكريم فقد أسرهم العدول الصرفي وظهر عند تفسيرهم لكتاب الله، ومن ذلك ما قاله أبو الهلال العسكري في الفروق: «فإن الرحيم مبالغة لعدوله أي لعدوله عن راحم وإن الرحمن أشد مبالغة لأنه أشد عدولا»[1].

وقال الرماني: ومن ذلك فعّال كقوله عزّ وجل ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: 86] ومعدول عن للمبالغة[2]،وقال الباقلاني في إعجاز القرآن « الرحمن عدل عن راحم للمبالغة»[3].

وهكذا فقد تفطن علماء العرب إلى ظاهرة العدول الصرفي في القرآن الكريم وحاولوا تيبان أسرار العدول من صيغة وإيثارها على الأخرى.

4- الدلالة الصرفية:

يقوم علم الصرف على تغيرات الكلمة الواحدة، وهذه التغيرات ينتج عنها أثر يسمى (الدلالة الصرفية) وعرفت بأنها مايستمد من الصيغ وبنيتها. فعلم الصرف يشارك في الدلالة، فمعنى الكلمة يتأثر بصيغتها الصرفية، مثل قاتل ومقتول، الصيغة الأولى صيغة اسم الفاعل الذي قام به الحدث، والصيغة الثانية اسم المفعول الذي وقع عليه الحدث، فكل صيغة تدل على معنى خاص بها، ويتبن هذا من صيغ الأفعال، والمشتقات، والمصادر.

الثابت عند الباحثين أن علم الصرف مختص بدراسة الصيغ ووظائفها واشتقاقاتها وتصريفاتها، كما يختص بدراسة السوابق واللواحق المتصلة بتلك الصيغ، ومن ثم يركز على الحركات الداخلية للمفردة اللغوية التي يتأتى من جرائها الاختلاف في دلالات الحدث الكلامي.

([1]) أبو الهلال اعسكري، الفروق اللغوية ، تح: أحمد سليم ، جروس بيسرس، لبنان،ط1، 1994، ص 196..

([2]) الروماني، ، المرجع السابق، ص 104

([3]) الباقلاني، إعجاز القرآني، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997، 403/1.

فالدلالة الصرفية هي ذلك المعنى المستمد من الصيغ الصرفية وبنيتها، إذ حدد علماء الصرف لكلّ صيغة منها دلالة خاصة تختلف عن غيرها من الدلالات [1].

وتقسم الوحدات الصرفية ذات الدلالة على نوعين :

النوع الأول : الأوزان الصرفية مثل : أوزان الأفعال ، والمصادر ، والمشتقات (اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسما الزمان والمكان ، واسم الآلة) وأوزان جمع التكسير والتصغير.

النوع الثاني : اللواصق ، وهي السوابق (Prefixes)واللواحق (Suffixes) والدواخل (infixes) ، وهي التي تدخل في صلب أو أحشاء بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في إنتاج الدلالة.

([1]) ينظر: لقمان مصطفى سعيد، الاتساق الدلالي في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، ط1، دت، ص 70.

الفصل الأول: الدلالة الصرفية ومفهوم العدول وأنواعه وغاياته

المبحث الأول: الدلالة الصرفية

المبحث الثاني: أنواع العدول الصرفي

المبحث الثالث: غايات العدول

المبحث الأول: الدلالة الصرفية

1- تعريف الاسم ودلالاته الصرفية:

الاسم ما دل على ذات أو مسمى وليس الزمن جزءا منه، ويفيد الثبوت لا التجدد والحدوث. مثل حافظ ويحفظ وثايت ويثبت، وقائم ويقوم، فالأول يفيد الثبوت والثاني يفيد التجدد والحدوث.

قال عبد القاهر الجرجاني: «إنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء. فإذا قلت زيد منطلق، فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا بل يكون المعني فيه في قولك: زيد طويل وعمرو قصير. فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتها فقط، وتقضي بوجودها على الإطلاق كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد»[1].

والاسم أقوى في الدلالة من الفعل، فالاسم يفيد ثبوت الصفة في صاحبها، وأن صاحبها متصف بها على سبيل الدوام (في حالة وجود الوصف فيه) مثل: قصير وطويل وغفور وحليم، ومثل قائم وجالس، فالقائم يظل موصوفا بذلك ما دام منتصبا، فإنّ جلس لازمه وصف جالس حتى يتخذ لنفسه وضعا آخر أو هيئة أخرى بوصف بها وتلازمه، بينما الفعل يدل على التجدد والحدوث، ومقيد بالزمن، فالفعل الماضي بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب، فالوصف بالفعل غير ثابت، لأن الوصف يزول باختلاف الزمن، فالفعل" قام" يدل على حدوث القيام في الحال(الآن) وفي الاستقبال، ويرتبط الحدث بالحال والاستقبال دون الماضي.

فالاسم أعم و أشمل وأثبت في الدلالة من الفعل، لأن الأخير مقيد بأحد الأزمنة الثلاثة مع إفادة التجدد، ولكن الإفادة بالاسم لا تقتضي التقيد بالزمن والتجدد[2].

([1]) عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 133، 134.

([2]) ينظر: فاضل السمرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، الأردن، ط2، 2007، ص9.

قال الرازي: « الاسم له دلالة حقيقية دون زمانها، فإذا قلت زيد: (زيد منطلق) لم يفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. و أما الفعل فله دلالة على الحقيقية وزمانها، فإذا قلت: " انطلق زيد" أفاد ثبوت الانطلاق في زمن معين لزيد. وكل ما كان زمانيا فهو متغير و التغير مشعر بالتجدد، فإذن الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد والاسم لا يقتضي ذلك ، ويشبه أن يكون الاسم في صحة الإخبار به أعم، وإن كان الفعل فيه أكمل يقتضي ذلك. ويشبه أن يكون الاسم في صحة الإخبار به أعم، وإن كان الفعل فيه أكمل و أتم، لأن الإخبار بالفعل مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك، و الإخبار بالاسم لا يقتضي ذلك»[1].

ومن الشواهد التي تؤكد قوة دلالة الاسم وثبوتها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾ [أل عمران:9] و الأصل تجمع الناس لأنه في الاستقبال، ولكن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [الذريات:6] أي الحساب، ولم يقل (يقع) ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ [هود 103].

«فإنّما آثر اسم المفعول الذي هو (مجموع) على الفعل المستقبل الذي هو يجمع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، و أنه موصوف بهذه الصفة، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ [التغابن: 9] فإنّك تعثر على صحة ما قلت»[2].

ومنه جل ثناؤه: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان30] «ولم يقل: هجروا، لأن شأن القوم كان هجران القرآن، وشأن القرآن عندهم أن يهجرا أبدا، فلذلك قال – والله أعلم : (اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) »[3].

والاسم ينقسم وينقسم لعدة اعتبارات وهي: « انقسامه من حيث التجرد والزيادة،ومن حيث الجمود والاشتقاق، ومن حيث نوع المشتق(مصدر عادي،مصدر الهيئة ،مصدر المرة،المصدر الصناعي)،و(اسم فاعل،واسم مفعول ،والصفة المشبهة،وصيغة مبالغة،واسم التفضيل،واسما الزمان والمكان،واسم الآلة(كما ينقسم من حيث تذكريه أو تأنيثه، ومن حيث كونه منقوصا أو مقصورا أو ممدودا أو صحيحا،ومن حيث كونه مفردا أو

([1]) نهاية الاعجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، دار صادر، بيروت، ط2004/1، ص 79.

([2]) ابن الأثير، المرجع السابق، 2 /16.

([3]) أحمد ابن فارس، الصاحبي في قفه اللغة العربية، محمد علي بيضون، ط1، 1997، ص464.

مثنى أو جمعا،كذلك ينقسم من حيث تصغريه،ومن حيث النسب إليه، ومن حيث تعريفه أو تنكر »[1].

1-1دلالة المشتقات:

أ- دلالة اسم الفاعل:

يدل اسم الفاعل على الحدث والحدوث وفاعله، فاسم الفاعل يدل على الحدث الذي يتحقق من معنى المصدر، ويدل على الحدوث، ولا على ثبوت الصفة المشبهة ولا يدل على الحدوث أو التجدد بدرجة الفعل، ولكنه أدوم و أثبت في المعنى من الفعل، ودون ثبات الصفة المشبهة في صاحبها، فالصفات مثل طويل، ذميم، قصير تلازم من وصف بها و لا تفارقه، ولكن اسم الفاعل مثل: قادم، قائم، صائم يزول عن صاحبه بزوال وصف من القدوم والقيام و الصيام.

وهذه القضية موضع بحث بين العلماء بيد أنهم اتفقوا على قوة الوصف بالصفة ودلالتها على الثبوت في صاحبها بدرجة أقوى من اسم الفاعل، ويميز اسم الفاعل عن غيره من المشتقات لدلاتها على الثبوت في الثبوت في صاحبها بدرجة أقوى من اسم فاعل، ويميز اسم الفاعل من غيره من المشتقات دلالته على من قام به الفعل على وجه الحدوث والتجدد، فالوصف قائم يدل على حدوثه في الحال واستمراره باستمرار هيئة الموصوف إلى أن يتحول إلى وصف آخر.

وقد تشاركه بعض الصفات مثل عطشان، وجوعان، حيران، ولكن الوصف بها أقوى من قولنا: عاطش، وجائع وحائر قال تعالى في شأن الحالة التي عليها موسى عندما وجد قومه يعبدون العجل: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا ﴾ [الأعراف150] وصف بالصفة للدلالة على شدة تغيضه عليهم، وكراهيته لسوء صنعهم، وهو أبلغ من غاضب و آسف، فالأخير يدل على حالة من الغضب دون المستوى الأول الذي وصف به موسى عليه السلام في النص القرآني.

فالوصف بالصفة المشبهة للدلالة على الثبوت مثل الحذر، والوصف باسم الفاعل يدل على التجدد مثل : الحاذر فنظير هذا قولك هذا سيد قومه لمن سودهم، وتقول لمن

([1]) رمضان عبد التواب، الصيغ الصرفية في اللغة الغربية،مكتبة بستان العرفة، ط1، 2006 ص 75.

يتوقع منه هذا: هذا سائد قومه، ومثل هذا رئيس، وهذا رائس، فرئيس لمن له الرئاسة ورائس لمن سيكون خلفا له، ويوصف باسم الفاعل من كان فيه الوصف متقلبا غير دائم، ولكن لا يوصف بالصفة المشبهة إلا ممن ثبت فيه الوصف، وكذلك يوصف باسم الفاعل ما يستقبل من الأمر مثل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ [الكهف 23].

ونرى أن اسم الفاعل قد يدل على الثبوت في مواطن، وعلى الحدوث في مواطن أخرى مثله في ذلك مثل الصفة المشبهةفي بعض المواطن، فاسم الفاعل يدل على الثبوت في الصفات التي تلازم الموصوف مثل: واسع الفم، بارز الجبين، جاحظ العينين، ضامر البطن، فاسم الفاعل في هذه المواطن يجري مجرى الصفة المشبهة في الدلالة على الثبوت ونظيره اسم المفعول في مقطوع (لمن قطع في حد)، ومجدوع (لمن جدع انفه)، ومبتور(لمن لا عقب له بنين). وموتور (لمن فقد عزيزا).[1]

ويدل اسم الفاعل على الاستمرار والدوام أيضا،قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[الأنعام95 97] ففلق الحب والنوى مستمر، وكذلك يفلق الله الإصباح في كل يوم.

ويدل على النسب إلى الشيء كقولهم لذي الدرع دراع، ولذي النبل نابل، ولذي الترس تارس، وعلى من حمل السلاح سالح، ويقال لمن عنده تمر تامر ، ومن لديه لبن لابن، ونظيرها خابز، سامن، وزابد لصاحب الخبر والسمن والزبد.

وتدل صيغة اسم الفاعل على الأزمنة الثلاثة في المواضع الآتية:[2]

-**الماضي:** في مثل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:1] ومثل قولك في حالة الإضافة: هذا قاتل زيد أي الذي قتله وفي حالة تنوين " قاتل" ونصب " زيد" " هذا قاتل زيدا" أي سيقتله اليوم أو غدا ، فلم يقع القتل بعد على زيد.

-**الحال** : في مثل في ممثل قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدّثر 49] فمعرض تدل على الحل، ونظيرها مالك واقفا؟ أي الآن .

-**الاستقبال:** نحو قواه تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص: 71] أي سأخلق بشرا دل عليه ما بعده في جملة الشرط. ونظيرها، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾[البقرة 30] أي سأجعل في الأرض خليفة بدليل قول الملائكة:

---

[1]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق، ص66.

([2]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق، ص68

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة 30] ونظيرها ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾ [آل عمران 9] أي ستجمع الناس ليوم القيامة.

وتوجد في اللغة مشتقات تدل على معنى اسم الفاعل مثل : " فعيل" بمعنى " مُفعل " قال تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [البقرة:117] أي مبدعها و وكذلك: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [البقرة 10] أي مؤلم، وهو الموجع، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [لقمان: 28] سميع بصير) أي مبصر، والعرب تضع " فعيل"، تضع " فعيل" في موضع " مفعل"[1].

والعرب قال عمرو بن معد يكرب :[2]

أمِن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجُوعُ

يريد : الداعي المسمع .

وقال ابن قتيبة : «وفعيل يراد به "فاعل" نحو : حفيظ ، وقدير ، وسميع ، وبصير ، وعليم ، ومجيد ، وبدىء الخلق : أي بادئه» ، وبصير" في هذا المعني من "بَصُرَ" ، وإن لم يستعمل منه فاعل إلا في موضع واحد ، وهو قولهم : "أريته لمحاً باصراً". أي: نظراً شديداً باستقصاء وتحديق ، والوصف بها أبلغ من الوصف باسم الفاعل.

وقد يأتي الفاعل على لفظ المفعول به ، وهو قليل ، ومثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ [مريم:61] أي: آتياً [3] ، وقوله تعالى: ﴿ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾ [الإسراء:45] أي: ساتراً[4] .

ب- دلالة اسم المفعول:

اسم المفعول ما دل على الحدث والحدوث وذات المفعول ، أو هو ما وقع عليه الفعل . ويدل اسم المفعول على أزمنة الفعل :

-الماضي : مثل ﴿ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ [الرعد:2] . أي سُمّى ، ونحو : " أدركناه وهو مقتول " . أي قُتِل .

([1]) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 297، أبي عبيدة، 282/1.

([2]) ابن قتيبة، المرجع السابق، ص297.

([3]) المرجع نفسه، ص 298

([4]) الثعالبي، فقة اللغة ، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، دط، دت، ص 277 .

-الحال: مثل " أقبل مسرورا"، و" أنت مغلوب على أمرك".

-الاستقبال: نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: 103]أي: سيجمع له الناس، وسيشهد ومثل:"إنّك مقتول إن ذهبت وحدك إليه". أي ستقتل. ومثال هذا قول عبد الله بن الزبير لأمه أسماء- رضي الله عنهم- وهو محاصر في الحرم : " اعلمي يا أماه أني مقتول من يومي هذا" أي سأقتل . ويدل اسم المفعول على الاستمرار والدوام في مثل : ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:108] أي دائم. وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ٣١﴾ [الواقعة: 27-31].

ويدل اسم المفعول على الثبوت في الصفات التي تلازم أصحابها مثل : مدور الوجه ، مقرون الحاجبين ، ويدخل هذا الوصف في عداد الصفات المشبهات .

وقد يوضع المصدر موضع اسم المفعول مثل : قراءة الحسن وأبي الحويرث الحنفي قوله تعالى: ﴿ فَهَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:31] بكسر الباء والشين ، والشري يقصر ويمد أراد : ما هذا بمشري من قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف:20] أي باعوه ، أي ما ينبغي لهذا أن يباع ، فوضع المصدر موضع اسم المفعول ، كقوله الله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ [المائدة:96] أي: مصيده ، وكقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ ﴾ [الروم: 27] أي المخلوق ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : "الراجع في هبته" ، أي: موهوبة ، وهذا البيت نسيج اليمن " أي منسوجه ، وذلك أن الأفعال لا يمكننا إعادتها . ومنه قولهم : "غفر الله لك علمه فيك" ، أي : معلومه . ومنه قولهم : "هذا الدرهم ضرب الأمير ، أي : مضروبه [1].

وقال أبو عبيدة(ت 210ه) : «ومن مجازه ما يحوّل الفاعل إلى المفعول أو إلى غير المفعول قال الله تعالى: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾[القصص: 76] والعصبة هي التي تنوء بالمفتاح. ومن المجاز ما وقع المعنى على المفعول وحُوّل إلي فاعل قال : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة:171] والمعنى على الشاء المنعوق به وحوّل على الراعي الذي ينعق بالشاء»[2]ومن مجاز المصدر الذي في موضع الاسم أو الصفة قال : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة:177] أراد بالبر البار. وقال : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا

(1) ابن جني، المحتسب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،ط1، 1999، 343/1.

(2) أبو عبيدة، المرجع السابق، 1/ 12.

رَتْقًا ﴾ [الأنبياء:30] والرتق مصدر، وهو موضع مرتوقتين ، وقال : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: 19] أي رسالة .

ويجيء المفعول به على لفظ الفاعل ، ومثال ذلك قوله سبحانه: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود :43] أي لا معصوم من أمره وقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق:6] . أي مدفوق . ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة :21] أي مرضي بها[1].

قال أبو عبيدة : «مجاز مرضية فخرج مخرج لفظ صفتها ، والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شيء يقال : نام ليلة ، وإنما ينام هو فيه» [2]. وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [العنكبوت:67] . أي مأموناً فيه ، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء:12] أي: مبصراً بها . والعرب تقول : الليل نائم ، وسر كاتم ، قال وعَلة الجرمي[3] :

ولما رأيت الخيل تتري أثايجا علمت بأن اليوم أحمس فاجر

أي لما رأي كثرة الخيل علم أن اليوم صعب مفجور فيه ، والشاهد : اليوم أحمس، فاجر: أي اليوم صعب مفجور فيه.

ج- دلالة الصفة المشبهة:

الصفة المشبهة : وصف دل على معنى وذات ، وهذا يشمل اسم الفاعل ، واسم المفعول ، وأفعل التفضيل ، والصفة المشبهة ، فالمشتقات تقع وصفًا ، ولكن الصفة المشبهة تخالف المشتقات في البناء والمعنى ، فهي أقوى في الوصف ، وتصاغ من فعل لازم وتكون للحال.

وقد ذهب النحاة إلى أن الصفة المشبهة تدل على الثبوت ، أي الاستمرار واللزوم ، فالوصف بها يلازم صاحبها على وجه الدوام والاستمرار، وهذا أمر ليس مطرداً في الوصف بها أو بغيرها من المشتقات ، فهنالك بعض الصفات تلازم من وصف بها مثل : أبكم ، أصم ، أسود ، أبيض ، أعور ، دميم، عقيم ، وهناك صفات ليست دائمة أو مطردة في الاستمرار مثل : غضبان ، جوعان ، ريان ، وهنالك صفات تتغير بتغير الوصف مثل : حسن ، كريم ،

([1]) ابن قتيبة، المرجع السابق، ص 268.

([2]) أبو عبيدة، المرجع السابق، 268/2.

([3]) المرجع السابق،296.

سعيد ، حزين. فالحسن قد يذهب ، والكرم قد يزول عن صاحبه ، والسعيد قد يصبح حزيناً والعكس ، وهنالك صفات ترتبط بالهيئة ، فتزول بزوالها نحو : نحيف ، سمين ، فالاستمرار أو الثبوت لا يلزم كل الصفات ، ولكن الوصف بالصفة المشبهة لا شك أبلغ وأقوي من الوصف بغيرها من المشتقات[1].

ولكنها تختص دون غيرها في بعض معانيها بالدلالة على معنى الثبوت أو الاستمرار في صفات الله تعالى معرفة ، ونكرة في نحو : العزيز ، الحكيم ، الغفور ، الشكور . والصفة المشبهة لا تكون إلا للحال ، فلا تقول : زيد حسن الوجه غداً أو أمس للدلالة على ملازمة الوصف لصاحبها في الحال ، وإذا وصف بها موصوف في الماضي فهو علي سبيل الوصف في الحال ، ولا يلزمه في الاستقبال ، ويستثني في ذلك صفات الله تعالى ، لأنها ثابتة دائمة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56] الزمن في الماضي للتحقيق ، والوصف ضد الاستعداد والثبوت ، أي كان عزيزاً حكيماً وما زال ، وسيزال . وتأتي الصفة المشبهة على أبنية : فَعِل ، وأَفْعَل ، وفَعِيل ، وفُعُل ، وفِعْل ، وفَاعل ، فَعَل ، واختلف العلماء في فعلان ، فقيل هي صفة وقيل مبالغة .

ولأبنية الصفة المشبهة دلالات متعددة: تأتي " فَعِل " للدلالة الأدواء أو العلل نحو : وجع ، سلسل ، ألم ، تَعِب أو للدلالة علي السجايا مثل : وَقح ، شكس ، نكد ، أثر بطر، فرح ، قلق ، وهذه الصفات أعراض لا تلزم الموصوف دائماً أو لا تستمر فيه . وهذه الصيغة تشارك صيغة فعلان في وصف الأعراض نحو قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه86] فصفة " أسف " ليست سجية في موسي على الدوام ، وإنما عرض لما أثاره صنع قومه .

ويأتي بناء " أفعل " للدلالة على الألوان مثل : أخمر ، أسود ، أزرق ، وللدلالة على العيوب نحو : أعمى ، أجهر ، أعور ، أحول ، أجدع . أو للدلالة علي الحسن الظاهر ، نحو : أهيف ، أكحل ، أغيد ، أصبح ، أملح، وهذا الوزن يدل على الثبوت والاستمرار. ويأتي بناء " فعلان " للدلالة على الامتلاء ، والخلو نحو ريان ، وعطشان . ويأتي للمبالغة في الوصف نحو : الرحمن ، فهي أبلغ من الرحيم ، فالأولى تخص الله وحده والثانية يوصف بها الله تعالى ، ويوصف بها من عباده من كان رحيماً ، والأولى - الرحمن - تزيد في مبناها عن الرحيم ، والزيادة في البناء لزيادة المعنى[2] وغضبان أبلغ من غضب ، لأن الأولى تعني الممتلئ

([1]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق ، ص 87.

([2]) ينظر: الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 19189، 1/ 15، 16.

غضباً مثل قول الله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه:86] ، فقد اشتد غضبه على قومه عندما اتخذوا العجل إلهاً في غيابه عنهم ، "فغضبان" توحي بشدة الهيجان والثورة ، وكل من كان من الأوصاف أبعد من بنيه الفعل فهو أبلغ ، لأن "الرحمن" أبلغ من الرحيم ؛ لأنا نقول : رحم فهو راحم ورحيم ، ونقول : قدر فهو قادر وقدير[1] . فالوصف بالرحمن مبالغة في كثرة الرحمة .

وهذا البناء لا يلزمه الثبوت والاستمرار ، ويستدل على هذا بوصف عطشان ، جوعان ، ريان ، فهذه أعراض لا تستقر أو أمور تحصل وتزول ، فالرحمن أبلغ من رحيم ،وهذا البناء لا يلزمه الثبوت والاستمرار ، ويستدل علي هذا بوصف عطشان ، جوعان ، ريان ، فهذه أعراض لا تستقر أو أمور تحصل وتزول ، فالرحمن أبلغ من رحيم ،ولكن الرحيم تفيد الثبوت، فجمع الله تعالى لذاته الوصفين ، فهو أرحم الراحمين [2].

ويأتي بناء "فَعِيل" للدلالة على الثبوت مما هو خلقه أو مكتسب أو خصال ، فالدلالة علي الخلقة مثل : طويل ، قصير ، قبيح ، جميل ، وسيم ، وللدلالة على الخلق مثل حكيم ، رزين ، زميم ، لئيم ، وللدلالة على المنزلة : شريف ، وضيع ، مهين ، كبير ، صغير.

ويلاحظ أن الصفات التي تأتي على هذا الوزن تدل على الثبوت أو الاستمرار ، ومثال هذا أسيف ، وأسف ، جاء عن السيدة عائشة في وصف أبي بكر رضي الله عنه عندما استخلفه النبي صلي الله عليه وسلم في إمامه المسلمين في الصلاة فقالت : " إن أبا بكر رجل أسيف " أي: حزين ، لكثرة بكائه في الصلاة ، فقد كان هذا شأنه دائماً مع الله تعالى وخاصة في الصلاة ، فأسيف ليست عرضاً بل سجية فيه ، وهي بخلاف أسف في قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ [طه:86] فقد كان هذا عرضاً غير ملازم له ، ونظيره نشيط ونشط ، فالأولى طبيعة أو سجية ، والثانية عرض لا تلزم حال الموصوف دائماً ، فهو نشيط في عمله دائماً بخلاف نشط أحياناً . ونظيرها عسير وعسر ، فالعسير ملازم العسر ، فالعذاب العسير هو الدائم، وهذا يؤكد أن وزن فعيل يدل على الثبوت والاستمرار ، وهذا أهم ما يميزه[3].

([1])أحمد ابن فارس، المرجع السابق ص 54.

([2]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق، ص 12، 14.

([3]) ينظر: المرجع نفسه، 98.

وقد يعدل المتكلم بفعال عن " فَعِيل " للمبالغة في الوصف نحو طويل وطوال ، وكبير وكبار ، وعريض ، وعُرَاض ، فإذا أفرط في الزيادة أتي بفعّال (بتضعيف العين) نحو: كُبّار في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ [نوح:22] .

وقال تعالى في شأن شدة استنكار المشركين لعقيدة توحيد الله تعالى الخالق: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص:5] ، وهي أبلغ من عجيب في قوله تعالى : ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:2]

لأن درجة استنكار المشركين نبوة النبي صلى الله عليه وسلم دون استنكارهم عقيدة التوحيد التي دعاهم إليها، وقد دل على هذا همزة الاستفهام في (أجعل) التي تفيد الانكار، والتأكيد بإنّ، واللام في (إنّ هذا لشيء عجاب). ذلك أنّ الوثنية فشت فيهم، وتمكن الشرك من قلوبهم دهرا طويلا، فأنكروا ما عداه.

فالزيادة في المبنى توجب زيادة في المعنى، ومن هذا " فعيل" و "فُعال"، و" فعَّال" (بتضعيف العين): فالأولى تدل على ثبوت الوصف واستمراره في الموصوف، والثانية للمبالغة في المعنى، والثالثة إمعان في المبالغة وزيادة فيها ، نحو" طُوال "أبلغ من طويل ، وإذا أردت زيادة المبالغة شددت العين فقلت طُوَّال . ونظيرها : كريم في رجل كريم ، وكُرَام ، وكُرام بمعنى واحد والزيادة فيها لزيادة المبالغة ، فتزداد دلالتها بالزيادة في مبناها ، فكرام بالتخفيف أبلغ في الوصف من كريم ، وكرّام بالتشديد أبلغ من كُرَام[1].

وقد أقر الفخر الرازي هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ [نوح:22] فقال : «وهو مبالغة في الكبير ، فأول المراتب الكبير والأوسط الكبار بالتخفيف ، والنهاية الكبّار بالتثقيل ونظيره جميل وجُمَال وجُمَّال وعَظيم ، وعُظَام وعُظَّام ، وطَويل وطُوَال وطُوَّال»[2].

ويعدل عن "فعيل" إلى "فعال" لتكثير المعنى مثل : طوال أبلغ من طويل ، وعُراض أبلغ من عريض ، وكذلك خُفاف من خفيف ، وقلال من قليل ، وسُراع من سريع [3].

«والأصل في الوصف " فعيل " فهي الأكثر اطراداً في الوصف " ففعال – لعمري - وإن كانت أخت فعيل في باب الصفة ، فإن فعيلاً أخص بالباب من فعال ، ألا تراه أشد انقياداً منه فإن فعيلاً أخص بالباب من فعال ، ألا تراه أشد انقياداً منه ، تقول : جميل ، ولا

([1]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق، ص 99.

([2]) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ط3، 1999، 142/30.

([3]) ابن جني، الخصائص تح: علي النجار، عالم الكتب، ط1، 1955، 267/3، 268.

تقول جمال ، وبطيء ولا تقول بطاء . وشديد ، ولا تقول : شداد ، ولحم غريض ولا يقال غراض ، فلما كانت فعيل هي الباب المطرد ، وأيدت المبالغة عدلت إلى فعال . فضارعت فعال بذلك فعّالاً ، والمعني الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله أما فعّال فبالزيادة، وأمّا فعال بالانحراف به عن فعيل»[1].

ولها دلالات أخرى قال الثعالبي: «وتكون الادواء على فُعال: كالصداع و الزكام، والسعال،والخناق،والكُباد، والأصوات أكثها على هذا كالصراخ والنباح والضباح، الثغاء ، والثغاء والخوار، وفصل آخر منها على فعيل كالضجيج ، والهدير والصهيل والنهيق ، والزئير ، والنعيق ، والنعيب ، والخرير ، والصرير»[2].

ومثل هذا تذكير صفة المؤنث، في مثل : امرأة صبور وغدور ، فالأصل في صفة المؤنث التأنيث، ولكن العرب خرجوا عن هذا الأصل حين أرادوا المبالغة في معنى الصفة،يقول ابن جني : «... ولأجل ذلك ما قالوا : امرأة صابرة وغادرة ، فالحقوا علم التأنيث . فإذا تناهوا في ذلك قالوا : صبور ، وغدور فذكرا»[3].

ويعدل عن صيغة فعيل إلى فعّال للمبالغة في الدلالة ، ومن ذلك قولهم رجل جميل ووضيء ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا وُضَّاء وجُمال ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادةمعناه .

«فالزيادة في تضعيف العين ، وإبدال فتحة الفاء ضمة ، والضمة أقوى ، وإبدال الياء ألفاً الألف أقوى مداً ، هذه الزيادة في اللفظ جعلت صيغة (فعال) ، أقوي لفظاً ، وبالتالي أقوى معنى»[4].

ويعلل ابن جني سبب قوة دلالة صيغة فعّال للدلالة على الكثرة ، يقول: « فأما قولهم خُطَّاف ، وإن كان اسماً ، فإنه لاحق بالصفة في إفادة معني الكثرة ، ألا تراه موضوعاً لكثرة الاختطاف به ، وكذلك سكين ، إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به ، وكذلك البزار والعطاروالقصار ، ونحو ذلك إنما هي لكثرة تعاطي هذه الأشياء . وإن لم تكن مأخوذة من الفعل ، وكذلك النساف لهذا الطائر ، كأن قيل له ذلك لكثرة نسفه بجناحيه ، وكذلك

([1]) ابن جني،المرجع السابق ، 267/3، 268.

([2]) الثعالبي، المرجع السابق، ص255.

([3]) المرجع السابق، 243/2.

([4]) المرجع السابق، 366/3.

الخضارى للطائر أيضاً ، كأنه قيل له ذلك لكثرة خُضرته ، والحواري لقوة حوره ، وهو بياضه ،وكذلك الزمل والزمال، وإنما كُررت عينه لقوة حاجته إلي أن يكون تابعاً وزميلاً»[1]

ونظير هذا زيادة الواو والتاء في فعلوت للتعظيم، قال ابن جني : «الملكوت فعلوت، زادوا الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ، ولا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم، ونظيره الجبروت والرغبوت والرهبوت»[2].

وتضعيف اللام في مثل : «"عُتلّ"، و "خُرقّ" للمبالغة ، وقد تدل صيغة فعيل في المبنى علي معنى الفاعل في مثل: حكيم ، رحيم ، أي حاكم ، وراحم ، وتدل على معنى اسم المفعول في مثل : الشيطان الرجيم أي المرجوم، ومثل : شاة ذبيح . أي مذبوحة ، وناقة بقير ، إذا شق بطنها . أي مبقورة ، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس :25] . أقيم فعيل مقام مفعول ؛ لأنه أبلغ منه ، ولهذا لا يقال لمن جرح في أنملته جريح ، ويقال له مجروح»[3]

ذلك أن مفعولاً يقبل معناه الشدة والضعف، ولكن معنى الحدث في "فعيل" أشد، ولهذا يعدل عن صيغة "مفعول" إلى صيغة فعيل للمبالغة مثل ، الحميد التي هي أبلغ من المحمود، لأن حميداً بمعنى محمود أبلغ من الوصف بمجرد ، فحميد هو من حصل له من صفات الحمد أكملها وقيل هي بمعنى الحامد ، أي يحمد أفعال عباده[4].

وتوجد في العربية صفات تدل علي معنى اسم المفعول مثل : "فعيل" : في مثل : جريح ، وقتيل " ينوب فعيل عن مفعول في الدلالة على معناه نحو مررت برجل جريح ، وامرأة جريح، وفتاة كحيل، وامرأة قتيل " فناب جريح وكحيل وقتيل عن مجروح ومكحول ، ومقتول "[5] ، واستوى فيه المذكر والمؤنث .

وتدل " فعيل" أحياناً على أن الوصف سجية في الموصوف أو ثابت فيه مثل : حميد التي تعطي في المعنى محموداً ، ولكن حميداً أبلغ في الدلالة من محمود ، لأن حميداً تدل على ثبوت صفة الحمد في الموصوف ، وكذلك " الرجيم " أي المرجوم ، فالوصف برجيم يعني الذي يستحق أن يرجم على وجه الثبوت ، مصداقاً لقول الله تعالى في الشيطان

([1]) ابن جني، الخصائص، 267/3.

([2]) ابن جني، المحتسب، 62/2.

([3]) ابن هشام، شرح شذور الذهب،عبد الغي الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا،دط، دت، 102.

([4]) أبو البقاء الحنفي، الكليات، تح:عدنان درويش، محمد المصري، ، مؤسسة الرسالة، دط، دت، ص 366.

([5]) المرجع نفسه،ص 366

الرجيم : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر :35] ، ولهذا وصف بالرجيم ،والله أعلم.

وتدل صيغة" فِعْل "على معنى اسم المفعول مثل : بِدع أي مبتدع ، وطِحن بمعنى مطحون ، ورعي بمعنى مرعى ، وطِرْح بمعني مطروح.

وتدل صيغة " فَعَل " بالفتح على معنى اسم المفعول في مثل : السَّلب بمعني المسلوب، النقض بمعني المنقوض ، ويقال للورق المخبوط خبط ، وللإبل المهملة : إبل هَمَل . وتدل صيغة " فُعْل " بالضم ثم السكون على معني اسم المفعول في مثل الخبز بمعني المخبوز ، والطعام بمعني المطعوم ، ومثال ذلك أيضاً " نُكْر " في قوله تعالى : (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا [الكهف: ٧٤] أي: منكر.

وتدل "فُعْلة" بالضم فالسكون على اسم المفعول ، مثل : رجل لُعْنة للذي يلعن كثيراً ، ونظيرها سُبَّة للذي يُسب ، وهو يفيد المبالغة ، ونظيرها : صُرْعة أي يُصرع كثيراً ، وضُحْكة للذي يضحك منه الناس ، فهذه الأمثلة بمعنى اسم المفعول : ملعون ، مسبوب ، مصروع ، مضحوك منه ، ويفيد بناء فعلة معنى الدلالة علي القدر أو الكمية ، أو الحجم في بعض الأبنية ، مثل : غرفة ، وهي مقدار ملء الراحة من الماء ، والخطوة مقدار ما بين القدمين ، واللقمة مقدار ما يوضع في الفم من الطعام[1].

وتدل " فُعُل " على معنى اسم المفعول في : نُكُر بمعنى منكر شديد النكارة قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [القمر: 6] : منكر فظيع تنكره النفوس ، لأنها لم تعهد بمثله ، وهو هول يوم القيامة[2] ، ونظيرها صيغة فعول بفتح فضم ، مثل رسول بمعني مرسل ، ومثلها ذلول في : ناقة ذلول ركوب ، ونظيرها صيغة ، "فعال" بالضم ، فالفتح ، مثل : جُذاذ ، حُطام أي مجذوذ ، محطوم . ونظيرها : "فعالة". ، مثل نخالة أي منخول ، فضالة ، وقراضة . ونظيرها : " فِعَال " ، مثل : خِضَاب بمعني مخضوب ، ولباس بمعني ملبوس . ونظيرها أفعُولة ، مثل : أطروحة : وهي المسألة تطرحها ، وأعجوبة ،وألعوبة وغير ذلك من الصيغ التي تدل على اسم المفعول ، وتأتي للمبالغة في المعنى[3]. وهنالك بعض الصفات المسموعة غير مقيس عليها نحو حُرّ، صلب ، وهي تدل على الثبوت .

وفَعْل نحو : فَخْم ، وضَخْم ، وهي تدل على الثبوت في الهيئات .

([1]) السامرائي، المرجع السابق، ص 68.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 308/3.

([3]) المرجع السابق، ص 70، 71.

وفَعَل نحو: حَسَن ، وبَطَل ، وخَطَل ، وهي للدلالة علي المعنويات .

وفَعَال " نحو : جَبَان ، وجَوَاد ، رَزَان ، وهي للدلالة على السجايا والأعراض أيضاً ، ومثلها فاعل نحو: طاهر، ظافر، حاضر.

وبعض هذه الصفات يدل على بعض معان المشتقات الأخرى ، وقد بينا ذلك ، وبعضها يدخل في أبنية المبالغة

د- دلالة أبنية المبالغة:

وهي مشتقة للدلالة على الوصف والمبالغة فيه ، ونذكر منها فعال ، مِفْعَال ، فَعُول ، وفعل ، وتشترك هذه الأبنية في دلالة واحدة ، وهي المبالغة ، ولكن بدلالات مختلفة لمناسبة سياق المعنى الذي يتطلب درجات من التعبير متباينة ، وإلا لم تختلف أوزان هذه الأبنية ،فمحال أن تختلف الأبنية والمعنى واحد ، فمعاني تلك الأبنية تتميز باختلاف الصيغ للدلالة على معاني خاصة في كل موضع تأتي فيه ، وإلا جاز الاستغناء عنها جميعها ببناء واحد ، و اختلاف الصيغ يدل علي اختلاف معاني المبالغة ودرجاتها ، ولهذا زاد في البناء لزيادة المعني ، ونوضح ذلك فيما يلي :

صيغة " فعّال" تعد من أقوى صيغ المبالغة للدلالة على الشيء الذي يتكرر فعله أو الشيء الملازم لصاحبه حتي صار حرفة فلازمه في الوصف ، والدلالة على لزوم الوصف وتكراره يأتي في مثل : كَذَّاب ، كفَّار، غفَّار، قَهَّار.

ويأتي وزن " فَعّال " للدلالة علي صناعة أو حرفة يتقنها صاحبها ويداوم عليها ، مثل : نجار ، حَفَّارٍ ، ثَوَّاب ، عَطّار ، وخَيَّاط ، وبَقَال . فالصَّباغ هو صاحب حرفة الصباغة ، وكذلك النقاش ، والنساج ، فالعرب تنسب إلى الحرف والصبغة بصيغة فعال ، وتقتضي هذه الصيغة المداومة وملازمة من يوصف بها[1] .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على هذا ، مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه:82] ، وقوله تعالى : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾ [نوح:10] . أي دائم المغفرة ومستمر على ذلك ، وهذا الوصف ملازم له ، ومتجدد فيه ، ومثلها ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم:34] . أي مستمر على ذلك في غالب أمره.

([1]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق، ص 78.

ومثلها : ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة:2] أي تكرر اللوم فيهما تأثم فيه . فاللوامة ينبئ عن التكرار والإعادة . فاللوام ، والتواب، والأواب الكثير الرجوع إلى الله ، فيكثر من ذلك ، ويداوم عليه.

صيغة " مفعال " ، وهي لمن اعتاد الفعل أو دام منه حتى جري على عادته ، مثل:

رجل مهذار ، ومطلاق، ومزواج إذا كان مديماً للهذر ، والطلاق ، والزواج ، فصيغة مفعال تأتي في العادات التي يستكثر منها ، فنصف المرأة التي تلد الذكور فقط بأنها مذكار ، والتي تلد الإناث فقط مثناث[1] .

وتدل صيغة " مِفْعَال " على الآلة أيضاً ، أو استعير للدلالة على الآلة التي يستكثر عملها للمبالغة مثل : منشار ، مِزْمَار ، محراث ، مفتاح ، أصبح مِفْعَال لمن صار له كالآلة.

وتدل صيغة " مفعِيل " أيضاً على من دام منه الفعل أو اعتاده ، ويستكثر منه مثل : المسكين ، أي دائم السكون إلى الناس والحاجة إليهم ، وكذلك "مسكير" أي دائم السكر ،ورأى بعض أهل اللغة أن " مِفْعِيلاً " أصله " مِفْعَال " غير أن العرب نحو به منحى الإمالة.

وتدل صيغة " مفعِيل " أيضاً على من دام منه الفعل أو اعتاده، ويستكثر منه مثل : المسكين ، أي دائم السكون إلى الناس والحاجة إليهم ، وكذلك "مسكير" أي دائم السكر ، ورأي بعض أهل اللغة أن " مفعِيلاً " أصله " مِفْعَال " غير أن العرب نحو به منحي الإمالة التامة المؤدية إلى الإبدال كالمعطير للمعطار ...

صيغة "مِفْعَل " تدل هي الأخرى على الآلة ، فاستعير لها في مخيط، مجوز ، مكتل ، ومبرد ، تأتي لمعنى المبالغة في مثل : مِقْوَل ، ومضقع ، وتقول العرب : "فلان مشعر حرب" ، ورجل يُجِرَب" كأنه آلة في الحرب. أي سعر الحرب ، وكأنه آله حرب ، فشبه الإنسان بالآلة للمبالغة ، واستعار العرب وزن "مفعل" للمبالغة ، مثلما استعاروا وزن " مفعال"

صيغة " فَعُول " تدل على من دام منه الفعل أو أكثر منه أو قوى عليه ، ويري بعض العلماء أنه منقول من أسماء الذوات ، التي يفعل بها ، مثل : وَضُوء ، وَقُود ، سَحُور ، غَسُول ، فالوضوء لما يتوضأ به ، وكذلك الوقود ما توقد به النار ، وكذلك السحوروالغَسُول .

وكذلك تأتي عليه أسماء الأدوية نحو : الفَسُوق ، والشَّفُوق ، واللعوق . ويأتي للمبالغة في الصفات نحو : صَبور ، شَكُور ، غَفُور ، ويوصف به المذكر والمؤنث ، فلا يؤنث ، ولا

(1) ينظر: السمرائي،المرجع السابق ، ص 110.

يجمع جمعاً مذكراً سالماً مراعاة للأصل الذي نقل عنه ، وهو أسماء الذوات ،كالصبر ، والشكر ، والمغفرة[1].

وصيغة " فاعول " ، وهو وزن ليس أصلاً في المبالغة ، فهو من أبنية أسماء الآلة ، ويستعمل فيها كثيراً ، كالساطور ، والناعور ، والناقور ، والناقوس ، ويوصف به للمبالغة في مثل : هو بالوعة . أي كثير البلع.

ووزن " فَعِل " لمن صار له كالعادة ، مثل حَذِر ، وَجل ، وهو منقول من أبنية الصفة المشبهة.

ووزن " فَعِيل " : لمن صار له كالطبيعة ، وهو أيضاً منقول من أبنية الصفة المشبهة أو بمنزلتها نحو : طويل ، قصير ، خطيب ، ويأتي للمبالغة في حصول الأمر وتكراره فصار سجية في صاحبه مثل : عليم لمن كثر نظره في العلم ومعرفته به ، فعرف به كالطبيعة فيه.

وقد يعدل عن بناء " فعيل " إلى "فُعَال" للمبالغة فيه والزيادة في الدلالة نحو : طويل ، طوال ، وجميل : جمال ، وقد سبق تبيين هذا.

" فِعِّيل " يستعمل للمولع بالفعل، فيديم العمل به أو يكون له عادة ، مثل "صديق". لمن تكون عادة الصدق . وكذلك "سكير" لمن يداوم على الشراب أو السكر أو المولع به ، وكذلك "الشَّريب" ، وهو المنهمك بالشراب المحظور[2].

وتتحقق المبالغة أيضاً بزيادة التاء على بعض الصفات، فتكون للمبالغة ، وذلك بزيادة على أسماء الفاعلين نحو : راوية ، حاكية ، وتزاد أيضاً على صيغ المبالغة نحو : علامة ، نَسَّابة ، هُمَزة ، فَرُوقة .

فالرّواية هو كثير الرواية، والنسّابة هو الملم بالأنساب، والتاء تدل على أن الموصوف يقوم مقام جماعة علماء ، لتعني المتناهي في هذا الوصف ، فالعلامة من اعتلى علم غيره . فالتاء للدلالة على المبالغة في الوصف مثل : رجل علامة ، وامرأة علامة ، رجل نسابة.

2-1 دلالة الجمع

وهو ما زاد على ثلاثة فما فوقها ، وينقسم على نوعين : جمع مذكر سالم ، وهو ما زيد على مفردة واو ونون أو ياء ونون ، وجمع التكسير وهو ما اختلف لفظ مفرده ، أو كل جمع تغير فيه لفظ المفرد ، وسمي جمع تكسير ، لأن لفظ الواحد تكسر فيه .

([1]) ينظر: السامرائي، المرجع السابق، ص 116.

([2]) ينظر: المرجع نفسه، 118، 119.

وجمع التكسير يفيد الكثرة، وهو أبلغ في المعنى من جمع المذكر السالم . والخلاف في دلالة أبنية جمع التكسير ودلالتها ، فقد قسم علماء النحو جموع التكسير على جموع قلة وجموع كثرة ، وجموع القلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة ، فإن زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة ، مثل: آلاف ، وألوف ، آلاف جمع قلة قال تعالى: ﴿ بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران:124] . وقوله : ﴿ بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران:125] فلما زاد العدد عن عشرة جاء التمييز ألوفاً كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ [البقرة:243] . دل جمع ألوف على أنهم زادوا على عشرة آلاف.

فاستدل العلماء بذلك على جمع أفعال للقلة ، وجمع فعول للكثرة[1] . ، ومثال ذلك وزن " أفعل "، ووزن " فعال ووزن "فعولة" ووزن "فعلة" ، قال تعالى : ﴿ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ ﴾ [لقمان:27] فأبحر للقلة ، وقال في الكثرة : ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ [التكوير :6] فاستعمل البحار للدلالة على الكثرة ؛ لأنها بحار كثيرة . وكذلك "فتية" و"فتيان" ، فقد استخدم الأول تميزاً لأصحاب الكهف ؛ لأنهم لم يتجاوزوا عشرة: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ [الكهف:13] .

وما زاد عن ذلك استخدم فيه "فتيان" قال تعالى : ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [يوسف: 62] ، لأن عمال صاحب الأمر أكثر من عشرة ، فاستخدم الفتيان للكثرة ، والله أعلم . وجاء جمع "أشهر" فيما نزل عن عشرة نحو: ﴿ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ ﴾ [البقرة:226] ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾ [البقرة:197] فهم ثلاثة أشهر . ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ ﴾ [التوبة:2] . ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾ [التوبة:5] . واستخدم جمع شهور فيما زاد عن عشرة : ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا ﴾ [التوبة: 36] فاستعمل الشهور لما زاد على العشرة [2]

ودلت إخوة في القرآن الكريم على إخوة النسب ، مثل : ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:57] . ، وجاء في شأن ميراث الإخوة : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ ﴾ [النساء: 11] .

وقد ألحق الله تعالى الإخوة في الدين بإخوة النسب أو جعلها في منزلتها (من دون الميراث) ، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات:10] أي بمنزلة الإخوة في النسب . ويستخدم جمع الإخوان للدلالة على قوة الصلة بين الإخوان في الدين ، أو العلاقة بين

([1]) الحريري، شرح ملحة الإعراب، تح: أحمد محمد قاسم، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 2002، ص 118.

([2]) ينظر :السامرائي، ص 137، الحريري ، ص 119.

الأصدقاء والأخلاء ، فقد جاءت في القرآن الكريم بمعني الأصدقاء المتحابين في قوله تعالى في وصف العلاقة بين قطبي يثرب بعد الإسلام ، وهما الأوس والخزرج : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:103] ، ويستخدم بمعني الأتباع والأصدقاء والعشيرة ، والقوم ، مثل : ﴿ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴾ [ق:13] أي قوم والأصدقاء مثل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: 47] . كما تأتي بمعنيى إخوة أي إخوة النسب في قال تعالى : ﴿ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ ﴾ [النور:31] . في شأن النساء مع ذوي الأرحام ، ومثلها : ﴿ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ [الأحزاب:55] .

ومثل : ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف:43] بقرات للقلة ، وللكثرة بقر : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة: 70] ومثل : ﴿ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ ﴾ [يوسف:43] ، فلما أراد التضعيف والتكثير استخدم سنابل: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:261] فسنبلات المراد منها عين العدد سبعة ، وسنابل في مقام التكثير والمضاعفة، فجاء سنابل لبيان التكثير[1].

2. تعريف الفعل ودلالته.

الفعل ما دل على حدث مقيد بزمن ، (فالزمن عنصر أساس في الفعل يميزه عن الاسم والحرف ، ولهذا قيل : الفعل ما دل على زمن).

ويفيد التجدد والحدوث في زمن وقوعه . مثل : يقوم محمد ، أفاد حدوث القيام بعد أن لم يكن ، فقد كان جالساً أو نائماً ودل الفعل على الزمن، وهو التجدد فهو يقوم ومازال في الحدث، فالفعل المضارع يفيد الحال والاستقبال ، والماضي يفيد تمام وقوع الحدث في زمن انقضى، وهو في زمن حدوثه في الماضي أفاد التجدد ، فالأفعال التي تحدث الآن في الحال والاستقبال ستصبح هي الأخرى ماضياً انقضي زمنه .

وقد أفاد حدوث الفعل تقيده بزمن الحدوث (ماض ، مضارع ، مستقبل) . يسمي هذا الزمن زمن الفعل . قال سيبويه : «... أما الفعل ، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، وما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع»[2]،والأفعال المجردة تشارك في الدلالة فبناء " فَعَلَ " يأتي للدلالة على غريزة أو طبيعة ،مثل : جَدُرَ بالأمر ، وخَطرَ

(1) السامرائي، المرجع السابق، 135، 143.

(2) سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، 1/2.

قدْرُه ، كما يأتي للمدح في مثل : قَضُو الرجلُ وعَلمَ بمعنى . أقضاه وما أعلمه . وقد يدل على سجية مثل : سَفُه[1].

وقدل يدل على عرض ، نحو : جَرِبَ ، عَرِج ، مرض، وقد يدل علي كبر عضو ، نحو : "رَقبَ " بمعنى كبر الرقبة ، "وجبه" بمعنى كبر الجبهة ، وعَجِزَ" بمعني كبر العجيزة (المؤخرة) . ويجيء بناء " فَعَل " للدلالة علي الجمع مثل : جَمَعَ ، حَشَرَ ، أو للتقسيم نحو : بَذَرَ ، ، أو الغلبة مثل : قهَرَ ، مَلكَ ، أو نشر ، قسم ، أو للدلالة على المنع مثل : حَبسَ للتحويل ، مثل : صرف ، نقل ، أو للتحول مثل : رَحَلَ، ذهب، أو للاستقرار مثل : سكن ، ثبت ، أو للستر نحو : حجب ، ويكون فَعَل بمعنيين متضادين نحو : " بعت الشيء " و"بعته " : اشتريته ، ودنوت الشيء : وشعبت الشيء : جمعته وفرقته ، ويجيء مجرد الرباعي " فَعْلَلَ " على الاتخاذ مثل : قَمْطرتُ الكتاب ، أي اتخذته قمطراً، أو للدلالة على المشابهة مثل : عَلْقَمَ أي أشبه العلقم ، وحنظل أشبه الحنظل . وقد يأتي الاختصار المركب أوالنحت للدلالة على حكايته ، نحو : بسمل ، وسبحل ، وحمدل. وقد يأتي لغير ذلك [2].

والأبنية المزيدة أكثر دلالة لما تحققه من زيادة في المعنى، فزيادة المبني تأتي لزيادة في المعنى ، فهناك تناسب طردي بين الصيغة والدلالة ، فكلما زاد المبني قويت الدلالة . وقد استدل ابن جني علي ذلك بأمثلة مثل : خَشُنَ ، واخشوشن ، فمعني خَشُنَ دون معنى اخشوشن ، لما فيه من تكرير العين، وزيادة الواو ، ومثل : خلق، واخلولق وعدن،واعدودن [3]

ويقول القبيصي: «وأما " افعوعل فإنه يجيء للمبالغة ، ولما يحصل شيئاً بعد شيء - أو جزءاً بعد جزء ، ثم تضاف الأجزاء بعضها إلى بعض كقولك : اخشوشن الشيء ، واعشوشب المكان ، واغدودن النبات إذا طال ، وكذلك الشعر ، وكذلك احدودب الرجل»[4].

وتكرار العين في مثل : (افعوعل ، وفعو عل ، فعيل ، وفعنعل)، ويعلل ابن جني اختيار العين في الفعل للتكرير لكونها الأقوى، لتوسطها بين الفاء واللام ، ولأن اللام يصيبها الإعلال والحذف ، قال ابن جني : «لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهما ، ومكنونة بهما ، فصارا كأنها سياج لها ، ومبذولان العوارض دونها ، ولذلك نجد الإعلال بالحذف

([1]) ينظر: ابن بنين الدقيقي، اتفاق المباني واختلاف المعاني،تح: يحي عبد الرؤف الجبر، دار عمان، ط1، 1405هـ، ص 99.

([2]) أحمد ابن فارس، المرجع السابق، ص 379.

([3]) ابن جني، ، المرجع السابق 262/3.

([4]) ابن القبيصي، التتمة في التصريف،تح: محسن بن سالم العميري، مطبوعات مكة الثقافي،ط1، 1993، ص 97.

فيهما دونها ، فأما حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد ، نحو : العِدة ، الزنة ، والطدة ، والتدة ، والهبة، والإبة، وأما اللام فنحو : اليد ، والدم ، والفم ، والأب ، والأخ ، والسنة ، والمائة ، والفئة ، وقلما تجد الحذف في العين»[1].

وبناء "تفاعل" : يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلها وتناظرها ، وتجادلوا وتناظروا، ويكون من واحد نحو : تراءى له ، وتجاهل كذا ، وتغافل للدلالة علي ادعاء الجهل والغفلة ، وتمارض: ادعى المرض ، ويجيء بناء "تفاعل" للدلالة على المشاركة ، نحو تخاصما وتعاركا، أو لدلالة علي التكلف، نحو: تجاهل، وتكاسل ، أو للدلالة على المطاوعة - وهو يطاوع "فاعل" - ، نحو باعدته فتباعد ، وتابعته فتتابع[2].

كما تأتي التاء والألف في تفاعل لزيادة المعني وتوكيده ، قال تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنين:14] فتبارك أقوى في الدلالة من بورك ، وقوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الأعراف:190] تعالى أبلغ من علا.

وقول العجاج: « تقاعس العز بنا فاقعنس " اقعنس أبلغ من قعس ، لكثرة الحروف»[3].

ويجيء بناء "فعل" للدلالة على التكثير نحو قطع ، كثر ، حيث ضعفت العين، ويأتي للتعدية نحو خرجته ، وفرحته ، وقد يأتي لاختصار الحكاية نحو : كبر وهلل وحمد وسبح ، وقد يأتي للدلالة على نسبة المفعول إلى الفعل نحو : كذبته ، وفشقته [4] وقد تكون الزيادة علي السلب وليس على الإيجاب ، مثل : مرّضت الرجل ، إذا داويته ليزول مرضه، وقولهم: عجمت الكتاب ، إذا أزلت عجمته ، وتأثمت ، إذا تركت الإثم ، ويدل تكرارها مع اللام علي التكثير في عصبصب ، وعشمشم [5]. وقد تكون للمبالغة في مثل : اخلولق ، واعشوشب ، اغدودن .

ويجيء بناء "افعللّ " للدلالة على المبالغة نحو : اشماز ، واطمان ، واقشعر[6]. وبناء "استفعل" : يكون بمعني التكلف نحو: استعظم أي تعظم ، واستكبر أي تكبر ، وتدل الهمزة و السين والتاء في صيغة " استفعل " على الطلب [7] أو الاستدعاء

([1]) ابن جني، المرجع السابق، 155/2.

) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، 4/264

([2])وفقه اللغة ص254.

([3]) ابن جني، المحتسب، المرجع السابق، 134/1.

([4]) ابن عقيل، ، المرجع السابق، 264/4.

([5]) ينظر: ابن جني،لخصائص، 2/ 155، والتتمة في التصريف، ص 201.

([6]) ابن عقيل، المرجع السابق ، 265/4.

([7]) أحمد ابن فارس ، المرجع السابق، ص 254.

وقال القبيصي: «وأما استفعل " فأكثر ما يجيء في الطلب والاستدعاء ، نحو: استطعم واستقي، واستكتب. ويجيء بمعني الإصابة كقولك : استعظمته ، واستنكرته ، واستحسنته ، واستقبحته أي : وجدته كذلك ويجيء بمعني " التحول " كقولك : استنوق الجمل ، واستنسر البغاث»[1] . ويأتي لاختصار حكاية المركب ، نحو : استرجع ، إذا قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ويجئ بناء "افعلّ" في الأفعال للدلالة علي لون أو عيب والدلالة علي المبالغة فيها وإظهار قوتها نحو : احمر ، اعور، احول. ويجيء بناء " فاعل " للدلالة علي التكثير في نحو : ضاعف ، كاثر أو للدلالة على الموالاة في نحو: تابع ، والى ، مثل : والى الصوم[2]

ويدل على المشاركة بين اثنين نحو ضاربه، وبارزه ، وخاصمه ، وحاربه ، وقاتله ، ويكون بمعنى "فَعَل" كقول الله عز وجل : ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة:30] أي قتلهم ، وسافر الرجل ، ويكون بمعنى "فعّل " نحو ضاعف الشيء ، وضعفه[3].

ووزن "أفعل" يكون بمعنى "فَعَل" نحو أسقى، وسقي ، وأمحضه الود ومحضه ، وقد يتضادان نحو: نشط العقدة ، إذا شدها ، وأنشطها ، إذا حَلّها [4].

ووزن "أفعل" للتعدية نحو أجلس ، أخرج، ويأتي للدلالة علي أن الفاعل قد صار صاحب ما اشتق منه الفعل ، نحو : أثمر البستان وألبنت الشاة . وقد يأتي للدلالة على الدخول في زمان أو مكان نحو: أسحر ، أصبح ، أمسي ، أضحي ، وأصحر: دخل في الصحراء . وقد يأتي للدلالة علي السلب نحو : أشكيته ، أقذيته . أزلت شكواه وقذي عينه ، أو للدخول في الشيء كالحين نحو: أحصد الزرع ، وأصرم النخل : قرب حصاده ،وصرامه .

ويجيء بناء "افتعل" للدلالة على المطاوعة، ويطاوع الثلاثي نحو جمعته فاجتمع ، و غممته فاغتم ، ويطاوع بناء "أفعل" ، نحو: أنصفته ، فانتصف ، ويطاوع بناء "فعّل" ، نحو عدلت الرمح فاعتدل ، ويأتي للدلالة على الاتخاذ نحو: اشتوى واختتم . أي اتخذ شواء - واتخذ خاتما - أو للدلالة على التصرف باجتهاد ومبالغة نحو : اكتسب ، أو الدلالة على الاختيار : اصطفى واختار ، أو للدلالة على التشارك نحو : اشتورا ، واستبقا . وصيغة "اقتدر" أقوى في الدلالة من قدر ، قال تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ

(1) القبيصي، المرجع السابق ص 90,91.

(2) ابن عقيل، المرجع السابق، 264/4.

(3)أحمد ابن فارس، المرجع السابق،ص 254.

(4) المرجع نفسه، ص 254.

مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر:42] فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ[1].

وتأتي بعض أبنية الأفعال بمعن غيرها من الأبنية ، مثلها في هذا مثل أبنية الأسماء ، ومن هذه الأبنية : "فعّل" الذي يدل على التكثير نحو : ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ [يوسف:23] ويدل أيضاً على معنى : "أفعل " نحو : خبرت . وأخبرت . ويكون مضاداً في المعنى لأفعل ، نحو : أفرطت . أي: جُزت الحد ، وفرّطت : بمعني قصرت ، ويدل هذا البناء علي معني النسب في نحو : شجّعته ، وظلمته : أي نسبته إلي الشجاعة والظلم . ويدل : "أفعل " على معنى "فعل " نحو : أسقيته ، وسقيته : أي قلت له سقياً لك ، ويكون بمعنى "فَعَل" نحو : محضته الود وأمحضته . وقد يختلفان نحو: أجبرته علي الشيء ، وجبرت العظم، وقد يتضادان نحو نشطت العقدة ، عقدتها . وأنشطتها : إذا حللتها .

ويكون بناء "فاعل" من اثنين ، نحو ضارب ، ويكون أيضاً بمعني "فَعَل" نحو : (قاتلهم الله) . و"سافر الرجل "، فليس الفاعل اثنين بل واحداً، فلا أحد يقاتل الله تعالى أو يشاركه في القتال ، وكذلك إسناد الفعل "سافر" إلي رجل واحد ويكون بمعني "فعل" نحو : ضاعف ، وضعف[2] .

و "تفاعل" يكون أيضاً من اثنين اشتركا في حدث الفعل نحو : تخاصما ، تجادلا ، ويكون أيضاً من واحد مثل : تراءى له فعل كذا ، ويسند إلى مفرد ، ويكون إظهاراً لغير ما هو عليه ، نحو : تغافل ، أظهر غفلة ، وليس بغافل ، ومثله : تمارض ، وتناوم ، وتغابي . أي ادعي المرض أو أظهره، أو ادعى النوم ، أو الغباء .

ويدل بناء "تفعل" على تكلف الشيء ، وليس به ، نحو : تشجع للقتال ، وتعقل في الأمر ، ويكون بمعني تفاعل نحو : تعطي وتعاطى ، ويكون لأخذ الشيء نحو : تعلّم ،تفقه ، تدرب

ويكون "تفعل" (صيغة الأمر) بمعني " أفعل " نحو : تعلم بمعني اعلم ، قال القطامي[3] :

تَعلَّم أن بعـد شرِّ خيرًا وأنّ لهذا العُمَر انقشاعا

ويكون بمعنى " فعل " نحو : قرَّ ، واستقر ويكون بمعني الاستدعاء والطلب نحو : استوهب، ويكون "افتعل" بمعنى"فَعَل نحو : شوى واشتوى ، ويكون بمعنى حدوث...صفة فيه نحو : افتقر .

([1]) ابن جني، المرجع السابق، 265/3.

([2])أحمد ابن فارس، المرجع السابق، ص 254.

([3]) ينظر: محمود عكاشة، المرجع السابق،ص130.

2-1دلالة زمن الفعل:

الدلالة الزمنية تتحقق من أزمنة الفعل الثلاثة (الماضي، المضارع ، المستقبل) بالإضافة إلى دلالة فعل الأمر ، وهو مستقبل أبداً ، والزمن متعلق بالفعل ، فحد الفعل ما دل على زمان ، والزمن أصل في الفعل فرع في الاسم ، فالفعل للزمن مطلقا ، والاسم يدل عليه.

أ- دلالة الفعل الماضي:

الماضي يفيد وقوع الحدث أو حدوثه مطلقاً ، فهو يدل على التحقيق لانقطاع الزمن في الحال ؛ لأنه دلّ على حدوث شيء قبل زمن التكلم ، نحو: قام ، جلس ، قرأ . وقد يأتي الفعل في صيغة الماضي، ويحمل دلالة الحال أو الاستمرار أو الاستقبال . فالماضي ينصرف إلي معنى الحال في قولك : بعت واشتريت وأعتقت ، وتزوجت ، و طلقت ، فهذه الصيغ في الماضي ، والمراد الحال ، وقد أوقعها المتكلم في الماضي للدلالة على صدق المراد وتأكيد العزم عليه ..

ويأتي للدلالة على الاستمرار في مثل : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:96] أي كان ويكون ، وهو كائن الآن جل ثناؤه.

وقال الشاعر:

فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي القَصَائِدِ مُصَنفُ

أي لمن يكون بعدي[1].

قال ابن مالك : «وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء - وإلى الاستقبال بالطلب والوعد ، وبالعطف على ما علم استقباله وبالنفي بـ " لا " و " إن " بعد القسم ، ويحتمل الماضي والاستقبال بعد همزة التسوية وحرف التخصص وكلما و حيث ، ويكونه صلة ، أو صفة لنكرة عامة»[2].

وقد يوقع المتكلم المستقبل موقع الماضي حكاية الحال، والماضي موقع المستقبل بيانه السبب، وقد يأتي الفعل بلفظ الماضي وهو راهن في الحال أو مستقبل ، قال الله جل ثناؤه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [آل عمران:110] أي : أنتم خير أمة الآن ، زمن نزول النص وبعده حتى

(1) أحمد ابن فارس، المرجع السابق، ص 226.

(2)أحمد ابن فارس، المرجع السابق،ص 226.

يوم الدين إن شاء الله ، و مثل : ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [القيامة:31] أي لم يصدق ولم يصل . وقد يجيء الزمن في الماضي والحدث في المستقبل للدلالة على التحقيق ، مثل : ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١] أي يأتي[1] . ومثل : ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ [الأنبياء: 1] . ومثل : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:1] فهذا في المستقبل وجاء في الماضي للدلالة علي تأكيد وقوع الحدث لا محالة .

ب- دلالة الفعل المضارع:

ما يدل علي حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده ، نحو : يقوم ، يقول ، يدل على الحال، والاستقبال . ويترجح الحال إذا تجرد المضارع من القرائن المخلصة للحال أو الاستقبال.

ويتعين للدلالة علي الحال بمصاحبة " الآن " وما في معناه وبلام الابتداء ، ونفيه ليس " و " ما " و " إن "،ويتعين للدلالة علي الاستقبال بظروف مستقبل مثل (غداً) وبإسناد إلي متوقع ، وباقتضائه طلباً أو وعداً ، وبمصاحبة ناصب ، أو أداة ترجّ أو إشفاق أو مجازاة . أو " لو " المصدرية ، أو نون توكيد - أو حرف تنفيس ، وهو " السين " أو " سوف " أو " سف" أو " سو " أو " سي "[2].

ويعينه للاستقبال السين ، وسوف ، ولن ، وأن ، وإن ، نحو : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [البقرة:142]، ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحي:5] ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ [عمران:92] ،﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة:194]، ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ ﴾ [آل عمران:160] .

وينصرف إلى المضي بـ " لم " و"ما " الجازمة، و"لو" الشرطية غالباً ، و"إذا " و"ربما "و " قد " في بعض المواضع[3].

ويأتي الفعل في زمن المضارع للدلالة على ما حدث في الماضي حكاية في مثل : ﴿ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة:91] أي فلم قتلتم أنبياء الله من قبل ، وقد جاء الزمن مضارعاً ليدل على فعل ملازم لهم، وقد تكرر ذلك منهم ، ونظيره : ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾ [البقرة:102] أي ما تلت . ويجيء الفعل

([1]) أحمد بن فارس ،المرجع السابق،ص 364.

([2]) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1967، ص 5.

([3]) المرجع نفسه، ص 5.

بلفظ المستقبل ، وهو في المعنى ماضي ، قال تعالى الله : ﴿و وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ ﴾ [المائدة:18] المعنى قل: فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتل ، فقد أمر الله تعالى نبيه أن يحتج عليهم بما قد وقع علي آبائهم من عذاب في الماضي [1].

ج- دلالة فعل الأمر

والأمر ما يطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم ، ولهذا فهو يدل على الاستقبال مطلقاً ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة:67] ومثله : ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ [النور:30] . وللأمر وجوه أخرى في اللغة غير بناء صيغة الأمر (افعل) أو (لتفعل)، منها: استخدام مادة الأمر نحو: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:238] ومنها: سياق القول أي يفهم منه، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة:183] أي: صوموا، فكتب بمعنى فرض، ومثل: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران:97] أي فرض عليهم حج البيتوقد فهم الأمر من سياق الإخبار. وله وجوه أخرى[2].

([1]) أحمد ابن فارس، المرجع السابق، ص 364، 365

([2]) محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2002، ص 124.

المبحث الثاني: أنواع العدول:

يطلق على العدول الصرفي مصطلحات عدة من بينها التناوب بين الصيغ و التقارض والمجاز، والتحويل وغيرها من التسميات التي أطلقها العلماء أثناء معالجتهم لهذه الظاهرة.

ونعني بالتناوب بين الصيغ الفعلية (حمل) صيغة على أخرى في الأداء الدلالي سواء كان ذلك في الدلالة الزمنية للصيغة أو دلالة معناها بقرينة قد تكون تركيبية أو دلالية كما أنه يستخدم اصطلاح الوصف ونعني به الدلالة على اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل والصفة المشبهة، فالعرب تصف الفاعل والمفعول بمصدرهما) وكذلك قوله (والمصدر تجعله صفة) ويسمى ذلك مجازا أو تحويلاً (وقد تحول العرب فعيلاً إلى فُعال) ، وقد يقول: (العرب تضع لفظة فاعلة في موضع المصدر) أو يأتي بصيغتين تناوب إحداهما الأخرى في الوظيفة الصرفية فيقول هما بمعنى واحد أو هما سواء، ويتضح من خلال شواهده الكثيرة في هذا الشأن أنه يحمل صيغة بناء صرفي على صيغة أخرى لقرينة [1] وقد نقل عنه ابن الأنباري مصطلح الحمل هذا في التأنيث والتذكير وكذلك النحاس وعبر عنه ضمنا من خلال الأمثلة فيقول (وجاء خبرها على المعنى)، (ولأنهم يحملون النساء على الذكور لأنها أقوى وأضبط) وقياسًا على ذلك كان الحمل في السياق .

ويرى ابن الأثير أن نقل اللفظ والعدول به من صيغة إلى صيغة أخرى أكثر حروفا من الأولى لا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، ويرى أن هذه الطريقة لا تستعمل إلا في مقام المبالغة، فيقول: «اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة الإنابة عنها، فإذا زيد فى الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعانى وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة»[2].

فمن الأمثلة التي ذكرها على ذلك قوله : فمن ذلك قولهم خشن، واخشوشن، فمعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن) لما فيه تكرير العين وزيادة الواو، نحو (فعل) و (افعو عل).

وكذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا (اعشوشب).

) ينظر: رضوان مسيسي عبد الله جاب الله، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2007[1]، ص 62.

([2]) ابن الأثير، المرجع السابق، 41/2

ومما ينتظم بهذا السلك: قدر، واقتدر، فمعنى (اقتدر) أقوى من معنى(قدر)، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : 42]، فمقتدر ها هنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ فى البسطة من القادر، وذاك أن (مقتدر) اسم فاعل من (اقتدر)، و (قادر) اسم فاعل من (قدر) ولا شك أن (افتعل) أبلغ من (فعل) وعلى هذا ورد قول أبي نواس:

فعفوت عني عفو مقتدر حلت له نقم فألغاها

أي عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته[1]

يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة الإنابة عنها، فإذا زيد فى الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعانى، وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة.

وأمثال هذا كثيرة ومن ذلك تمثيله بقوله تعالى في سورة نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: 10]، حيث يبين أنه تعالى قد عدل عن (غافر) لأن (غفارا) أبلغ في المغفرة من (غافر) لأن (فعالا) يدل على كثرة صدور الفعل وفاعلا) لا يدل على الكثرة ثم يقول" وعليه ورد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:22].

([1]) ينظر: عبد الحميد يوسف الهندواي، المرجع السابق، ص141.

1- العدول الاسمي:

وينقسم إلى أقسام عدة من أهمها:

أ- العدول في الجنس
ب- العدول في التعريف والتنكير
ج- العدول في المشتقات
د- العدول في العدد

أ- العدول في الجنس:

من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ و حمله على معناه : فيقولون ثلاثة أنفس و النفس مؤنثة ، و إنما حملوه على معنى الإنسان أو الشخص ، قال الشاعر: ما عندنا إلا ثلاثة أنفس، و قال الآخر: فكان مجني دون ما كنت أتقي ثلاث شخوص: كاعبان و معصر.

و جاء في التنزيل ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان :11] ، ثم قال ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [الفرقان: 12] و السعير مذكر ، و قال ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ ﴾ [المزمل: 18]و السماء مؤنث .

يتعرف المذكّر بأنه « ما خلا من العلامات الثلاث ؛ التاء ، والألف ، والياء في نحو غرفة ، وأرض ، وحُبلى ، وحمراء ، وهذي ، والمؤنث ما وجدت فيه إحداهن»[1].

والكلام في الجنس مبحث يتنازعه المعجم وعلم الصرف ، وهو من المسائل القديمة التي بحثها علماء اللغة وأفردوها بالتأليف حتى إنه «قل ما نجد لغويا متقدما لم يفرد لهذه المسألة كتابا خاصا أو رسالة خاصة أو بابا في كتاب من كتبه» [2] و قد قرأنا لهم تصانيف كثيرة عنوانها المذكر والمؤنث" ، ولكنهم وقفوا فيهما عند حدود السماع ؛ إذ « ليس يجري

(1) الزمخشري، المفصل في علم العربية، المكتبة العصرية، صيدا، 2006، ص 172.

(2) أريف غازي جمال خليفة، تحول البنى النحوية بين التذكير و التأنيث في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، مذكرة ماجستير، كلية، جامعة الشرق الأوسط، ديسمبر 2011.

أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد ولا لهما باب يحصرهما كما يرى بعض الناس»[1] ، وقد اعتبروا المذكر أصلا والمؤنث فرعا يجب ردُّه إليه عند الالتباس ذلك أن « تذكيرالمؤنث واسع جدًّا لأنه رد فرع إلى أصل لكن تأنيث المذكر أذهب في التنكي والإغراب»[2].

ولكن كون المذكر أصلا لا يُخرج العدول إليه من دائرة الاستثناء لأنه يخالف أصلا آخر هو وجوب المطابقة بين أجزاء الكلام، ومن ثم فإنه مبحث صرفي جدير بالدراسة والتحليل.

أما العدول إلى المؤنث فإنه يتضمن عدولين ؛ واحدا عن القاعدة المتقدم ذكرها ؛ وهي وجوب المطابقة بين أجزاء الكلام ، والثاني ترك الأصل الذي هو المذكّر إلى الفرع الذي هو المؤنث حسب ابن جني.

أما ابن التستري فقد ميّز بين المؤنث أو المذكر بالطبع ، والمؤنث أو المذكر بالوضع كما فعل الزمخشري ، ووافق ابن جني في اعتبار المذكر أصلا والمؤنث فرعا عنه حيث قال : «إذا أتاك مالا تعرف أمذكر هو أم مؤنث وكان ما يستحق التذكير والتأنيث بالطبع فاكتبه بالتذكير فإنّه الأصل ، وإذا أتاك من ذلك ما تذكيره و تأنيثه بالوضع لا بالطبع فاكتبه على التأنيث لأنه الأصل»[3].

ولا نرى لاعتبار المذكر أصلا والمؤنث فرعا عنه مسوغا لغويا – وبخاصة المذكّر أو المؤنث بالطبع – وفق كلام ابن التستري المتقدم ؛ إذ نلاحظ أنَّ ابن التستري فرّق بين الجنس بالوضع والجنس بالطبع بينما موضوع الكلام في الاختلاف بالوضع لا بالطبع ؛ لأنَّ اختلاف الطبع متعلق بالأحياء وهي مسألة مفروغ منها ؛ إذ إنّ الأنثى هي الأنثى ، والذكر هو الذكر لا يلتبس أحدهما بالآخر ، أما الجنس بالوضع فهو متعلّق بالأشياء والمعاني ، وهو موضوع الكلام .

والشواهد عليه كثيرة ، من ذلك مثلا لفظ "السبيل" ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: 146]، وقال في موضع آخر: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف :108]؛ حيث جاء لفظ السبيل مذكّرا في الأولى ومؤنثا في الثانية.

([1]) الأنباري، المذكر و المؤنث، تح: طارق الجنابي، القاهرة، 1983، ص 47، 56.

([2]) ابني جني، الخصائص، 301/2.

([3]) ابن التستري، المذكر والمؤنث، تح: عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1983، ص28.

ولفظ "الطاغوت" حيث قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: 60]، وقال في آية أخرى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ﴾ [الزمر: 17] ؛ فأورد "الطَّاغُوتَ" مذكّرا مرة ومؤنثا أخرى.

ولفظ "الفلك" ؛ قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [الشعراء: 119]، وفي آية أخرى: ﴿ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [البقرة :164]، فكان " الفُلْكُ" - كذلك – مؤنثا في سياق ومذكرا في آخر ، وغير ذلك كثير لا يدخل حصره في اهتمامنا

والعدول في الجنس إما أن يكون عن المؤنّث إلى المذكّر أو عن المذكّر إلى المؤنث :

-العدول عن المؤنث إلى المذكر:

وقول عمر بن ربيعة:

فَكَانَ مِجنّي دُونَ مَا كُنت أتقي ثلاثَ شخوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِر[1]

فقال "ثلاث شخوص" ولم يقل ثلاثة شخوص"؛ أي أنه اعتبر "شخوص" مؤنثا وإلا لقال ثلاثة شخوص.

وقول الأعشى:

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما يضم إلى كشحيه كفا مُخضبا[2]

حيث قال "مخضبا" و"الكف "مؤنثة

قوله تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ ﴾ [المزمل: 18] حيث وصف السماء بالوصف المذكر "منفطر"وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ [هود :67] حيث قال "أخذ" ولم يقل "أخذت".

وقوله: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ ﴾ [ق: 11] وقد قال في آية أخرى كذلك: ﴿لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾ [الفرقان 49]، وفي سورة الزخرف : ﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الزخرف: 11] ،حيث وصف السماء في الآيات الثلاث بالمذكر ، ولا يخلو ذلك . من دلالة ينبغي ألا نقف في تحليلها عند تعليل الفراء بالجرأة حين قال: «العرب تجترئ على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه هاء»[3] ، وإذا كانت دلالة "الميت" يستوي فيها المذكر والمؤنث كما ذكر الزجاج [1] فإننا لن

([1]) الديوان: تح محمد الزهري الغمرواي، البابي الحلبي، مصر، د،ط، 1982، ص 54.

([2]) الديوان، ص 165.

([3]) الفراء ، المرجع السابق، ص 39.

نعدم في التعبير دلالة إيقاعية أو تداولية أو إضافة معنوية تغيب في التزام الأصل ، وقوله تعالى: ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ [يونس: 22]

حيث قال "عاصف" ولم يقل "عاصفة" تبعا للفعل "جاءت" إذ الريحمؤنثة إلا عند بني أسد ، وكأنهم اجترؤوا على ذلك إذ لم تكن فيها هاء[2]

-العدول عن المذكر إلى المؤنث:

هو« الأذهب في التنكير والإغراب » على حد قول ابن جني المتقدم لأنه عدول عن أصل إلى فرع ، وحقيقته أن يؤنث ما حقه التذكير لفظا أو معنى.

قال رويشد الطائي:

يا أيها الراكب المزجي مطيَّه سائل بني أسد ما هذه الصوتُ؟

حيث أنّث الصوت فقال : "هذه الصوت" ولم يقل : هذا الصوت

وقد قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [البقرة : 253]، ولم يقل: "أولئك"،وقال أيضا: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ﴾[النساء :23] ،حيث قال: "اللاتي" ولم يقل: "الَّذين" ،وقال: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ﴾ [الأحزاب :9]، فقال :" لَمْتَرَوْهَا" ولم يقل: "لَمْ تَرَوْهُمْ"، وهو عدول في الجنس والعدد .

الاسم إمّا معرفة أو نكرة، والنكرة « ما شاع في الجنس موجود نحو شمس»[3] وتعتبر النكرة هي الأصل لذلك محلها التقديم ،والمعرفة تخصيص للنكرة وحدّ من إطلاقها ، وهي ستة أنواع : الضمير ،والعلم ، واسم الإشارة ، والاسم الموصول ، ذو الأداة، والمضاف إلى واحد من هذه الأصناف[4].

وقد تنوب المعرفة عن النكرة والنكرة عن المعرفة ، فأمَّا النوع الأول فقد مثل له النحاة بقولهم : " قضية ولا أبا حسن لها ، وأما النوع الثاني فمنه قوله تعالى : ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: 1].

([1]) ابن منظور، لسان العرب: موت.

([2]) ينظر: الفراء: المرجع السابق، ص 39

([3]) ابن هاشم، قطر الندى وبل الصدى، المكتبة التجارة الكبرى ومطبعة السعادة، مصر، ط1، 1963، ص 93.

([4])المرجع نفسه،ص 93.

ب- العدول عن المعرفة إلى النكرة :

هو من الوجهة النظرية ردُّ فرع إلى أصله باعتبار المعرفة فرعا عن النكرة ، ولكنه في واقع اللغة ودلالتها يتجاوز هذا التقسيم النظري إلى غايات بيانية وفنية يكشف عنها سياق العبارة ومكانها في النص ، وقد جاء منه في القرآن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾ [النساء: 47].

«وإنّ القارئ ليتوقع أن يجد لفظ "وجوهكم" في مكان "وجوها" ، ولو كان ذلك كذلك ما أصاب المعنى أي قدر من الفساد ولكن مجيئ الوعيد في صورة التنكير نسب الوجوه إلى أصحابها ولكن بصورة غير مباشرة ، ومن ثمّ جاءت مترفعة غير محددة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل الكتاب ، أهم دعاة الكفر منهم فقط؟ أم هم جميع أفراد الطائفة ؟ ، وهكذا يقود التنكير الذهن إلى مسارب للمعنى متعددة وهو ما قصدت إليه الآية»[1].

وقوله جل شأنه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ [الكهف، 31] إذ إنّ « تنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن»[2]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: 18] حيث آثر السياق لفظ "نفس" في صيغة النكرة ، وفي ذلك تعميم وشمولية ، و « دليل إرادة العموم هنا أنك لو وضعت لفظ "كل" قبل كلمة "نفس" لظل هيكل المعنى وإطاره العام كما هو ، ومعنى هذا أنّ التنكير ، أغنى عن لفظ "كل" بما أفاده من معنى العموم »[3]، وآثر لفظ "غد" نكرة كذلك ؛ قال الزمخشري : «أما تنكير "الغد" فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل: الغد لا يُعرف كنهه لعِظَمِه »[4].

-العدول عن النكرة إلى المعرفة :

منه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴾[يوسف :13] ،حيث جاء لفظ"الذئب" معرفا ، وليس المقصود ذئبا محددا ، إذ

([1]) ا ابن هشام ، المرجع السابق، ص93.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق ،64/3.

([3]) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002،ص 357.

([4]) الزمخشري، المرجع السابق، 372/4.

إنه « هنا مراد به غير معيَّن من نوع الذئب أو جماعة منه ...[و] المراد أيّةُ ذات من هذا الجنس دون تعيين ، ونظيره قوله تعالى: " كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ، أَي فرد من الحمير غير معين ، وقرينة إرادة الفرد دون الجنس إسناد حمل الأسفار إليه لأنَّ الجنس لا يحمل .... ، وهذا التعريف شبيه بالنكرة في المعنى إلا أنه مراد به فرد من الجنس»[1] .

ج- العدول بين المشتقات:

من خصائص العربية التي عدها العلماء لها ما تمتاز به من اتساع الأبنية، وكثرة الصيغ التي تستوعب المعاني التي يمكن أن تجيش بها نفس إنسان في وقت من الأوقات، وهذا ناتج عن كونها لغة اشتقاقية، فمن صيغة واحدة ،نستخرج ألفاظا عدة لمعان مختلفة.

والاشتقاق «هو مصدر صيغة يعدل عنها، الْمُشْتَقّ إمّا بِزِيَادَة حرف، أَو حَرَكَة، أَو حَرَكَة وحرف، وإمّا بِنُقْصَان حرف أَو حَرَكَة، أَو حَرَكَة وحرف»[2]. وهذه الزيادة أو النقصان، الذي يعتري المبنى ينجم عنه التغير في المعنى، والأصل في المشتقات أن يفيد كل واحدةمعنى لا يفيده غيره، تماما كما الأصل في المفردات.

والعدول بين المشتقات يكون من خلال « نيابة صيغة عن صيغة في أداء المعنى »[3]نقل السيوطي عن ابن فارس أنه « من سنن العرب التعويض ، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة ، كإقامة المصدر مقام الأمر نحو : "فَضَرْبَ الرَّقابِ" ، والفاعل مقام المصدر نحو : لَيْسَ لوقعتها كاذبة" أي تكذيب ، والمفعول مقام المصدر نحو: "بأيَكُمُ الْمَفْتُون" أي الفتنة ، والمفعول مقام الفاعل نحو : "حِجَابًا مَستُورًا" أي ساترا »[4].

-العدول في المصادر:

يقع العدول في المصادر بأشكال متنوعة فمرة يعدل عن اسم الفاعل أو المفعول وغيرها من المشتقات نحو المصدر، وقال سيبويه : «إنّ العرب تقول : "ماء غور " ، ومجازه

([1]) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دط، دت،231/5.

([2]) ابن مالك الطائي الجياني، من ذخائر ابن مالك في اللغة ، مسألة من كلام الامام ابن مالك، في الاشتقاق، ، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار، الجامعة الاسلامية بالجامعة الاسلامية، ط29، 1999، 333/1.

([3]) سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص 153.

([4]) السيوطي، المزهر في علو اللغة و أنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998،، 2/1

غائر ، و"رجل عدل" ، و"صوم" ومجازه عادل وصائم ، وأتيته "ركضا" أي راكضا ، و"مفازة قفر" أي مُقْفِرَةٌ ، وما أنت إلا نَوْمٌ" ، و"ما زيْدٌ إلا أكل وشُرب" ، و"إنما أنت دخول وخروج" ، و"بنو فلان لنا "سلم" أو "هم علينا "حرب" »[1]، فقد يعدل اسم الفاعل نحو المصدر وسائر المشتقات وهذا وراد كثير في شعر العرب والقرآن الكريم.

وأحيانا أخرى يكون العدول بين المصادر نفسها ، كأن يعدل عن المصدر المجرد إلى مصدر المزيد أو عن مصدر اللازم إلى المصدر المتعدي، أو العدول عن المصدر إلى اسم المصدر العدول عن الخراب أو التخريب أو العدول عن المصدر الميمي نحو العدول عن التوب إلى المتاب أو الحيض إلى المحيض أو التمزق إلى الممزق ولا يخلو كل ذلك من إضافة معنوية، أو إيقاعية.

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل الآية 08]؛ ا فجاء المفعول المطلق "تبتيلا" وحقه أن يكون "تبتلا" لأنه هو مصدر الفعل "بتل" ؛ وهو عدول معزو إلى رعاية الفاصلة فضلا عن الغاية المعنوية قال الزمخشري: «فإن قلت كيف قيل "تبتيلا" مكان "تبتُلا" قلت لأنَّ معنى "تَبَتَّل" بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل »[2]، وبمثل ذلك علل كثير من المفسرين العدول في هذه الآية[3].

وقال عز ذكره : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [نوح : 17]، فجاء بـ "نباتًا" بدل "إنباتًا" لأنَّ "أَنْبَتَ" على "وزن" أفعل" ومصدر أفعل" هو "إِفْعَال"[4].

وقال كذلك: ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾ [النبأ :28]، حيث عدل عن"تَكْذِيبا" إلى "كِذَّابًا" وهو عدول مراعى فيه الإيقاع والمبالغة معا ، والعرب تقولكلَّمْتُهُ كلاما وقاتلته قتالا[5] .

- العدول في اسم الفاعل:

لقد سبق أن تعرفنا على الدلالة الصرفية المتنوعة لإسم الفاعل ،وصور العدول في اسم الفاعل متنوعة ، ومنها:

([1])سيبويه ، المرجع السابق، 45/1.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 153/4.

([3]) ينظر: الطاهر بن عاشور،المرجع السابق ، 266/12. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 106/29.

([4]) الزمخشري، المفصل، المرجع السابق، ص 188.

([5]) أحمد يوسف هنداوي، المرجع السابق، ص 165.

***العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل**: منه رأي القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: 05]أنَّ معنى " لصادق" الصدق ، وقع الاسم موقع المصدر[1] .

***العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل :** هو أن يكون الملفوظ اسم فاعل والمقصود اسم مفعول أي أن تشرب صيغة اسم الفاعل معنى اسم المفعول ، ومثلوا له ببيت الحطيئة في هجاء الزبرقان بن عمر:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي[2]

قال في العمدة: «ومن غرائب هذا الباب أن يأتي بالمفعول بلفظ الفاعل كقوله تعالى: ﴿ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: 43] أَي لا معصوم ، وكذلك قوله ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: 6] أي مدفوق ، وقوله : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة 21:]

أي مرضي بها ، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: 12] أَي مبصر فيها »[3]، و «من سنن العرب أن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل نحو "سر" كاتم" أي مكتوم و"ماء دافق" أي مدفوق ، و عيشة راضية" أي مرضي بها ، و"حرما آمِنًا" أي مأمون فيه»[4]

أمَّا الذي يصرف الدلالة عن البنية السطحية ممثلة في الفاعلية إلى البنية العميقة ممثلة في المفعولية إنما هو السياق والمقام ؛ ذلك أن موضوع البيت هجاء وإذا فهم معنى الفاعلية صار مدحا بالكرم.

***العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل:** الصفة المشبهة هي اسم مشتق يدل على ثبوت صفة ملازمة لصاحبها، وتختلف عن اسم الفاعل الذي يدل على صفة غير ملازمة وغير ثابتة، ، لذلك فإنَّ العدول عنها إلى اسم الفاعل يكون رغبة عما فيها من ثبوت ودوام إلى ما في اسم الفاعل من معنى الحدوث والطروء، نمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ ﴾ [هود :12]، حيث عدل عن "ضيّق" إلى "ضائق" وحاشي أن يتصف صدر – النبي صلى الله عليه وسلم - بدوام الضيق وقد قال تعالى: ﴿ أَلَمْ

([1]) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، تح: أحمد بردوني، إبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، 30/17.

([2]) الديوان: شرح و تحقيق أبي سعيد السكري، دار الصادر، بيروت، دط، 1981، ص 108.

([3]) ابن رشيق، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط5، 1981، 279/2.

([4]) السيوطي ، المرجع السابق، 265/1.

نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾الشرح 01]، فكيف يضيق صدر شرحه الله تعالى ، ومن ثم فهو ضيق عارض من معاناته - صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة ، فهو لم يقل "ضَيِّق" ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا وهذه الدلالة تغيب في الصفة المشبهة وتتحقق في صيغة اسم الفاعل .

-العدول في اسم المفعول:

ومن صور العدول في اسم المفعول مايلي:

*العدول عن المصدر إلى إسم المفعول: هو أن يكون اللفظ بصورة اسم المفعول والمقصود معنى المصدر واستشهدوا له بقول الراعي النميري: «حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا " بإيراده "معقولا" مكان "عقلا»[1]

وقوله تعالى: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ [القلم 5-6]، أي بأيكم الفتنة وهذا في تفسيراتها وسنترك تفصيل ذلك إلى مكانه من البحث.

*العدول عن اسم الفاعل إلى اسم الفعول: وذلك قولهم "سيل" "مفعم ومجازه "مفعم " ، وقوم موطوؤون بالطريق" ومجازه واطئين "[2]

وجاء منه في القرآن العظيم: قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم: 61] أي آتيا .

قال الطبري: «قال بعض نحويي الكوفة خرج الخبر على أنَّ الوعد هو المأتي ، ومعناه أنه هو الذي يأتي ، ولم يقل: وكان وعده آتيا لأنَّ كلَّ ما أتاك فأنت آتيه ، وقال: ألا ترى أنك تقول أتيتُ على خمسين سنة وأتَتْ عليَّ خمسون سنة وكلّ ذلك صواب»[3] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الاسراء: 45] أي ساترا ،وقوله جل ذكره:: ﴿ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء :57] أي أزواج طاهرة ، لأَنَّ كلَّ مُطهَّر طاهر.

([1]) ينظر القرطبي، المرجع السابق،299/18.

([2]) ابن جني، المرجع السابق، 488/2.

([3]) الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، دار الفكر، بيروت، دط، دت، 101/16.

-العدول في الصفة المشبهة:

وإن كانت الصفة المشبهة فرعا عن اسم الفاعل باعتبارها – أساسا – مشبهة به فإنها تختلف عنه في كونها تفيد اتصاف موصوفها بالثبوت ، لذلك فإنه يعدل إليها عند إرادة هذا المعنى لأنه « لا يرقى إلى درجة الصفة المشبهة في الدلالة على الثبات»[1]

ومن صور العدول في الصفة المشبهة:

***العدول عن اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة:** جاء منه في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [البقرة :10] حيث جاءت "أليم" عوضا عن "مؤلم" ؛ وهو في القرآن كثير مطّرد حيث بلغ عدد استعمالات لفظ "أليم" أكثر من سبعين مرة.

وقوله: ﴿ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴾ [الجن: 9] فجاءت "رصدا" عوضا عن راصد" لتفيد دوام ترصد الملائكة مسترقي السمع من الجنّ ، وهو ما يستفاد من الآية قبلها : ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴾ [الجن: 8]

***العدول عن اسم المفعول إلى الصفة المشبهة:** قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ [الصافات: 11] بمعنى "المذبوح"وقال عز ذكره: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: 36].

فقال "الرجيم" بدلا من "المرجوم" لإثبات الدوام في صفة إبليس اللعين ؛ وهو ما يستفاد من قوله تعالى في سورة ص: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [ص: 77]

حيث حكم عليه بدوام اللعن إلى يوم الدين ، وكذلك في قوله تعالى في سورة النحل﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: 98] وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾أي "مرهون" ، والحال كذلك في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: 38]

وصيغة "فعيل" التي هي إحدى صيغ الصفة المشبهة كثيرا ما تدل على معنى اسم المفعول، «فرهينة في هذه الآية تدل على اسم المفعول "مرهون"»[1]

([1]) فاضل السامرائي، المرجع السابق، ص 47.

-العدول في صيغة المبالغة:

أبنية المبالغة « هي الأبنية المصوغة للدلالة على التنصيص على التكثير في حدث اسم الفاعل كما أو كيف »[2] ، « وهي صور لفظية خاصة تضيف معنى صرفيا زائدا على معنى اسم الفاعل، وهو الكثرة والمبالغة في الوصف»[3]، لأنَّها إنما وجدت أصلا خدمة لاسم الفاعل في إيضاح ما طرأ عليه من تغيرات دلالية.

ومن صور العدول الصرفي في صيغ المبالغة ما يلي:

***العدول عن اسم الفاعل إلى صيغ المبالغة:** وقال الله تعالى: ﴿ إِ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان :02] ،حيث حلت صيغة "فعيل"(سميع) محل صيغة اسم الفاعل"فاعل" (سامع) ، و (مبصر) لتشير إلى ما تفضل به الخالق تعالى على الإنسان من نعمتي السمع والبصر ، وكم فيهما من دلائل على عظيم قدرته ومطلق إرادته.

*العدول عن اسم المفعول إلى صيغ المبالغة: من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ [ق: 10] أي منضود.

وقوله: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ [لانسان: 8]

فقال "أسيرًا" ولم يقل :" مَأْسُورًا" .

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ [البقرة :71]، والبديل المفترض لـ "ذَلُولٌ" هو "مَذْلُولَةٌ".

واللفظ نفسه في قوله عز ذكره: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: 15]، حيث عدل عن "مَذْلُولَةٌ" إلى "ذلُول" ، وفيهما عدول في الجنس كذلك.

***العدول بين صيغ المبالغة نفسها:**

يحدث أن يعدل السياق عن بناء من أبنية المبالغة إلى آخر، كما في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص: 5] حيث «عدل عن صيغة "عجيب"

([1]) مقبل عايد السالم، المرجع السابق، ص 97.

([2]) عبد المنعم أحمد هريدي، تصريف الأسماء، دار أبو المجد للطباعة بالهرم، مصر،ط1، 1988 ، 203.

([3]) محمد خير حلواني، المعنى الجديد في علم الصرف ، دار الشرق العربي، بيروت، ص 253.

القياسية إلى صيغة "عُجاب" لسببين ؛ الأول رعاية الفاصلة وهذا سبب أسلوبي ، والثاني أن صيغة فعال" من صيغ الأدواء مثل الصداع والزُّحار، فلربما أراد القائلون بأن ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم - من الأمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء»[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [نوح 22] حيث عدل عن "كبير" بوزن "فعيل" إلى "كُبَّارا" بوزن "فعال" ، والعدول عن "فعيل" إلى "فعال" و" فعال" غايته المبالغة لأنَّ" "فعال" في معنى "فعيل" إلا أنَّه أبلغ منه نحو: "طُوَّال" وطويل و"عراض" و"عريض" و"خفاف" و"خفيف".

د- العدول في العدد:

وينقسم إلى ستة أقسام وهي:

العدول من صيغة المفرد إلى صيغة التثنية.

العدول من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع.

العدول من صيغة التثنية إلى صيغة المفرد.

العدول من صيغة التثنية إلى صيغة الجمع.

العدول من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد.

العدول من صيغة الجمع إلى صيغة التثنية.

(1) ابن جني، ،المرجع السابق، 267/3.

-العدول عن المفرد إلى المثنى

معروف في اللسان العربي وعليه جاء كلام كثير من الشعراء و البلغاء إذ «تقول العرب "افعلا ذلك والمخاطب واحد »[1]؛ قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[2]

وقال الأعشى:

وصل على خير العشيَّاتِ والضُّحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا[3]

-العدول عن المفرد إلى الجمع:

«من سنة العرب في هذا الباب أن يقولوا للرجل العظيم والملك الكبير: "انظروا في أمري" ، ولأنَّ السادة والملوك يقولون "نحن فعلنا، وإنَّا أمرنا" فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون في الجواب كما قال تعالى عمن حضره الموت ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ [المؤمنون : 99] »[4] لأن « ظاهر السياق أن يقال " رب ارجعني" ليكون الضمير في فعل الأمر "ارجعون" مطابقا للضمير الملحوظ في المنادى رب»[5].

و قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحجرات4] والمنادى واحد[6] . وقال أبو عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع، قال: ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [غافر: 67] طِفْلًا" ، في موضع: "أطفالا" »[7].

-العدول عن المثنى إلى المفرد:

قال ابن رشيق في العمدة « ... من ذلك أن يذكر شيئين ثم يُخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ ﴾ [الجمعة: 11] ، أو يجعل الفعل لأحدهما ويشرك الآخر معه أو يذكر شيئا فيقرن به ما

([1]) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2006، ص 253، وينظر: السيوطي، المزهر، 264/1.

([2]) الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 2004، ص 9.

([3])الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1983، ص 187.

([4]) الثعالبي، المرجع السابق، 253، وينظر: السيوطي، المرجع السابق263/1.

([5]) صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان، دمشق، 2009، ص 209.

([6]) ينظر: ابن رشيق ، المرجع السابق، 279/2.

([7]) أبي عبيدة، المرجع السابق، 9/1،

يقاربه ويناسبه ولم يذكره كقوله تعالى في أول سورة الرحمن: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وقد ذكر الإنس قبل هذه الآية دون الجان وذكر الجان بعدها»[1]

وجاء منه في القرآن العظيم: قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: 117]

قال " فتشقى" بالإفراد والمخاطب اثنان آدم وحواء ؛ قال ابن عطية: «إنما أفرده بالشقاء من حيث كان المخاطب أولا و المقصود في الكلام».

-العدول عن المثنى إلى الجمع:

قال الشعبي في كلام له في مجلس عبد الملك : «رجلان" جاؤوني" ، فقال عبد الملك لحنت يا شعبي ، فقال : لم ألحن يا أمير المؤمنين مع قوله تعالى: ﴿ ۞هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج:19] ، فقال عبد الملك : لله درك يا فقيه العراقيين ،لقد شفيت وكفيت »[2]؛ ذلك أنَّ ظاهر السياق يقضي بالتثنية "اخْتَصَمَا" بدل الجمع "اخْتَصَمُوا" ، ولكنَّه الحملُ على المعنى لأنَّ الخصمين قد يكونان جماعتين .

- العدول عن الجمع إلى المفرد:

كذلك « من سنن العرب إذ تقول قررنا به عينا أي أعيُنا »[3] ، قال فيه السيوطي: « من سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجمع كقولهم للجماعة ضيف وعدو>>[4] ، وكان الحجاج يقول في خطبته: يا أيها الإنسان وكلك ذلك الإنسان»[5].

وجاء منه في القرآن الشيء الكثير من ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: 4] ، فوصف الجمع"الملائكة" بالوصف المفرد "ظهير" مخالفا القاعدة النحوية التي توجب إلحاق التابع بمتبوعه.

([1]) ابن رشيق، المرجع السابق،277/2.

([2]) الثعالبي، المرجع السابق،ص 255.

([3]) المرجع نفسه، ص 253،

([4]) السيوطي، المرجع السابق، 262/1.

([5]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، دط، 2005، 250/2.

-العدول عن الجمع إلى المثنى

وقوله عز ذكره: (وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر: 78-79]حيث قال: "وإنهما" ولم يقل: "وإنّهم" كما يقضي السياق.

2- *العدول الفعلي:*

العدول في زمن الأفعال تنقسم إلى ستة أقسام وهي:

-العدول من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع .

-العدول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي.

-العدول من الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

-العدول من فعل الأمر إلى الفعل الماضي.

-العدول من فعل الأمر إلى الفعل المضارع.

- العدول من الفعل المضارع إلى فعل الأمر.

بالاضافة إلى العدول بين الصيغ الفعلية المزيدة، والعدول بين الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول.

أ- العدول في زمن الأفعال:

-في العدول من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع:

إن الفعل المضارع إذا استعمل محل الفعل الماضي كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي والسبب في ذلك أن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها كما ينطوي للدلالة على الاستمرار والتجدد والاستحضار ،فهو يستحضر تلك الصورة أو الحدث وكأن السامع يشاهدها وليس كذلك في الفعل الماضي.[1] ورأى ابن الأثير في الإخبار عن الماضي بالمضارع أنّه أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذلك لأنَّ الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي[2]،ولدى تعرضه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج: 25] قال : «إنه إنما عطف المستقبل على الماضي لأنَّ كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفرا ثانيا ، وصدهم متجدد على الأيام لم يمض كونه ، وإنَّما هو مستمر يُستأنف في كل حين »[3].

وقال السيوطي « من سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبل أو بلفظ المستقبل وهو ماض نحو أتى أمر الله" أي يأتي ، "كنتم خير أمة" أي أنتم ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان" أي ما "تَلَتْ"»[4]. ولأنَّ القرآن العظيم بلسان عربي مبين فإنه جاء على سنة العربية في التعبير عن الأحداث الماضية بصفة المضارع ، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب:10] حيث عدل عن ظَنَنْتُم إلى ظنون".

وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ [الصافات: 102]؛ حيث قال "أرى" ولم يقل: " رأيتُ ".وفي العدول إلى المضارع "أرى" نقل للحدث من وقت الرؤيا إلى وقت الخطاب مما يوحي بأنَّ إبراهيم عليه السلام شعر بالأمر الإلهى يحاصره

([1]) ينظر،عبد العزيز عتيق،علم المعاني البديع،دار النهضة العربية-بيروت،لبنان،(دط)،(دت)،ص152

([2]) ابن الأثير، المرجع السابق، 12/2

([3]) المرجع نفسه، 15/2.

([4]) السيوطي ، المرجع السابق، 265/1.

ويطوقه في كل ، يستفاد من ذلك أن إبراهيم عليه السلام وكأنّه يعتذر من ابنه بأنه لا قبل له بردّ هذا المكروه [1].

ومثاله قول الله تعالى﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: 49] فقد ورد العدول في قوله "يسومونكم ،يذبحون،يستحيون"بصيغة المضارع بدلا من الماضي ،إذ المقتضى الظاهر في الكلام والمتوقع أن يتوافق مع ماقبله من اللفظ الماضي في قوله"نجيناكم".

وقول تأبطّ شرا:

بأنّي قَدْ لَقيتُ الغول تَهوى** بَسهْبٍ كالصَّفيحَةِ صَحْصَحَانِ

فأَضْرِبُهَا بِلا دَهَشٍ فَخَرَّتَ** صَريعًا للْيَدينِ وَللْجَرَانِ

وموضع العدول في قوله "فأضربها "بصيغة المضارع بعد أن عدل عن الفعل الماضي في أول البيت "لقيت" ومقتض الظاهر أن يعبر بصيغة الماضي فيقول "ضربتها".

في العدول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي:

إن الفعل الماضي إذا استعمل محل الفعل المضارع الذي لم يوجد بعد ،كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد،لأن يدل على الحدث التام ووقع وانقضى ،وبالتالي يدل على القطع أوالتأكيدأوالتثبيت.[2]

*يجب أن ندرك أنه ليس كل تحول من إلى فعل إلى فعل قد يكون أسلوبا بلاغيا ،بل قد يكون ليس بلاغيا لأن حقيقة الحدث أوالفكرة تقتضي المغايرة بين زمن الأفعال .[3]

ومن أمثلته كقول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: 87] ،وموضع العدول في قوله "ففزع"بلفظ الماضي بعد أن الكلام في أول الآية بلفظ المضارع "ينفخ" ،فأصل الكلام أن يتوافق مع لفظ المضارع بأن يقول فيفزع،ولكنه عدل عن ذلك إلى لفظ الماضي. وقد لاحظنا كثرة هذه الصورة من العدول وتعلقها في كثير من الأحيان بأحداث القيامة ، وهو أمر يتناسب مع شك المشركين في وقوعه ، فكان التعبير عـن أحداثه بصيغة الماضي الدالة

([1]) ينظر: عبد الحليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 1995، ص 164.

([2]) ينظر: عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص152، أسامة البحيري، البنية المتحولة، العلم والايمان،ط1، 2009، ص 371.

([3])، عبد العزيز عتيق،المرجع السابق ، ص152

على القطع واليقين لينهض – الماضي – بوظيفة التوكيد فيما يسمى بلاغيا الخبر الإنكاري لأنَّ الكلام موجة لمن يُنكر الخبر من أساسه ، لذلك يمكن اعتبار العدول إلى الماضي إحدى طرائق التوكيد ، تماما كالقسم والتكرار وأدوات التوكيد الأخرى.

-في العدول من الفعل الماضي إلى فعل الأمر:

كقول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف: 29] و موضع العدول "أقيموا" وعدل من الفعل الماضي إلى فعل الأمر بحيث لم يقل "وإقامة وجوهكم عند كل مسجد" .

-في العدول من فعل الأمر إلى الفعل الماضي

:لم يرد هذا النوع من الالتفات في القراءات المتعمدة أصلا بل ورد في قراءات شاذة. ومن أمثلتها قول الله تعالى ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: 125] قرئ: اتَّخِذُوا بلفظ الأمر في روية حفص بن عاصم، وقرئ بصيغة الفعل الماضي في رواية ورش عن نافع[1].

-في العدول من فعل الأمر إلى الفعل المضارع:

كقول الله تعالى ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: 91-92]

وموضع ا العدول :في قوله (يغفر) بصيغة المضارع الدال على الدعاء والأصل في الكلام أن يقول "اللهم اغفر لهم "

-في العدول من الفعل المضارع إلى فعل الأمر:

كقول الله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [هود: 53-54]

و موضع العدول "واشهدوا" بصيغة الأمر ،وكان مقتضى الظاهر في الكلام أن يقول "وأشهدكم" لتوافق مع ماقبله من الفعل المضارع وهو "أشهد" لكنه عدل عن ذلك .

([1]) ينظر: أسامة البحيري، المرجع السابق، ص 295.

ب- العدول بين الصيغ الفعلية المزيدة و بناء الفعل للمعلوم والمجهول

وهناك صور أخرى من العدول الفعلي كالعدول من الفعل المبني للمعلوم إلى الفعل المبني للمجهول والعكس

وكذلك العدول بين صيغ الأفعال المجردة والمزيدة والعدول الذين يكون بين الاسم والفعل كالعدول من الفعل المضارع إلى اسم الفاعل أو عدول بين الفعل والمصدر وغيرها من صور العدول الصرفي التي يزخر بها الشعر العربي والقرآن الكريم. وهذا الصنف من العدول سنمثل له في الفصل الثاني من هذا البحث.

المبحث الثالث: غايات العدول الصرفي

إن العدول الصرفي في النص القرآني لا يكون إلاّ لغرض بلاغي أراده الحق تبارك وتعالى،فالتعبير القرآني عندما يغاير بين الصيغ الصرفية، وينزاح عن صيغة إلى أخرى فإنه يكشف لنا عن المعاني البلاغية والإيحاءات الدلالية التي تدّل على الإعجاز البياني لهذا الكتاب الخالد. فالألفظ القرآنية تأخذ مكانها اللائق بها بحيث لو أجري أي تبديل على أمكنتها لاختل النظم، ولما عاد له ذلك السبك والرونق الذي كان عليه من قبل. « وفي لغة القرآن الكريم خاصة لا يكون إلا لمرامي، و أسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة »[1].

ويقول عبد الحميد يوسف الهنداوي: « ومن ثم يصح أن نعتبر السياق هو الأصل أو القاعدة التي تنحرف عنها الصيغة أو تعدل عنها إلى صيغة جديدة خالفت السياق لنكتة، أو غرض بلاغي تطابق به مقتضى الحال، وتتحقق به المعاني الفنية المطابقة التي هي غاية البلاغة »[2].

ولا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة إذ كلُّ عدول من صيغة إلى أخرى لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة [3]. و لم يختلف اللغويون والبلاغيون قديما ولا علماء الأسلوب حديثا في اعتبار العدول قوام اللغة الفنية وقطب رحاها ، وأنه صميم في المباحث البلاغية والأسلوبية ، كما أنّهم أجمعوا على أنَّ العدول لا يكون إلا لغاية بيانية أو فنية يستهدفها مستعمل اللغة لأنَّ « الدراسة البيانية ترفض أن يكون هناك تغيير في نظم الكلام تستبدل معه كلمة بأخرى لا يتبعه تغيير في المقاصد و الأغراض »[4] ،كما أنَّ « العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك »[5] إلا أنَّ الخصوصية التي ذكرها ابن الأثير ليست من جنس واحد ، ولا هي باعتبار واحد ، كأن يراعى فيها الجانب البياني وحده ، أو الجانب الإيقاعي وحده ، ولا هي من الوضوح بحيث يمكن الوقوف على معالمها بسهولة ، وهذا ما جعل ابن جني

([1]) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا ، ط1، 1983،ص 54.

([2]) عبد الحميد الهنداوي، المرجع السابق، ص72.

([3]) فاضل السمرائي، المرجع السابق ص 7

([4]) محمد أمين الخضري، من أسرار الجر في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة، القاهرة، دت، ص 13.

([5]) ابن الأثير، المرجع السابق، ص 12.

يعيب على البلاغيين وقوفهم في تحديدها عند مفهوم الاتساع ؛ إذْ «ليس ينبغي أن يُقتصر في ذكره [الالتفات] ألف أصحاب البلاغة أن يردّدوه وهو قولهم : إنَّ فيه ضربًا من الاتِّساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ ، و هذا ينبغي أَنْ يُقال إِذا عَرِيَّ الموضعُ من غرض متعمد وسر على مثله تنعقد اليد »[1].

ومما يؤكد دقة العلة في العدول و خفاءها اضطراب واحد من كبار البلاغيين والمفسرين هو الزمخشري في تعليلها ؛ إذ نراه يعللها مرة بالمبالغة فيقول: « فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة »[2]، ويردُّها في أخرى إلى تنبيه السامع وإيقاظ إصغائه حين يقول : «الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع و إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد »[3].

والواقع أنَّ المتتبع لمواطن العدول في اللغة بشكل عام وفي النص القرآني على التخصيص وما ذكره المفسرون وأهل اللغة لدى تناولهم هذا الدَّرسُ يجد أنَّ العدول الصرفي ينتهي إلى غايات ثلاث هي:

- الغاية المعنوية المتمثلة في طلب المبالغة وتدقيق الدلالة.

-الغاية الفنية التي تظهر في رعاية الإيقاع وضبطه ، أو إضفاء الغموض الفني على العبارة.

-الغاية التداولية ؛ و يكشف عنها اعتبار حال المتلقي ، أو المخاطب أو السياق الناظم للتواصل.

وهذا بيان ذلك :

1. البعد المعنوي:

إنَّ المتكلم حينما يضرب صفحا عن صيغة و يطلب أخرى لا يفعل ذلك إلا عندما يظهر له أنَّ في الثانية فائدة تفتقر إليها الأولى ، وإلا لما عدل إليها ؛ وأولى الفوائد التي

([1]) ابن جني، المحتسب، تح: علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1386، 145/1.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق ، 12/1.

([3]) المرجع نفسه، 19/1-20.

يتوخاها المتكلم هي فائدة المعنى الذي من أجله كان الخطاب أصلا بدليل أنه لو كان في العدول ما يخلّ بالمعنى لما جاز، و قد حدد الزمخشري في الشاهد المتقدم الغاية من العدول بالمبالغة ، وليست المبالغة إلا شحنة دلالية إضافية توفرها الصيغة المعدول إليها ، قال الطاهر بن عاشور في العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك 30] : «الإخبار به (المصدر) عن الماء من باب الوصف بالمصدر للمبالغة مثل عدل ورضى »[1]، ذلك لأن الدلالة المتضمنة في لفظ "غائر" (البديل المفترض دون المعنى المطلوب وهو الغور نفسه الذي لا تنهض به إلا صيغة المصدر المعدول إليها.

ومثل هذا المعنى نجده في واحد من أسماء الله الحسنى هو "العدل" الذي تتجاوز دلالته مجرد اتصاف عارض بالعدل – كما في اسم الفاعل "عادل" ، أو مبالغة مخصوصة كما في صيغ المبالغة المختلفة – إلى جوهر العدل ومطلقه.

وإذا كان « الالتفات بين الصيغ لا يكون لمجرد التوسع في اللغة أو يُحمل على أنه من أساليب العرب وعاداتهم في الكلام وإنما يكون ذلك لأجل دلالة بلاغية وخصوصية أسلوبية »[2] فإنَّ عزَّ الدين إسماعيل يرى أنَّ في الالتفات « معاني على قدر كبير من الرهافة والخفاء لا يلفت المتلقي إليها أو البحث عنها إلا إدراكهللتغير الحاصل في النسق اللغوي للخطاب »[3]

ونرى أنَّ الناقد عزَّ الدين إسماعيل قد وضع يده على قضية بالغة الدقة والأهمية في علاقة العدول بالتلقي وهي كسر الرتابة التي تجعل المتلقي يستكين إلى المعاني الأولية للألفاظ ولا يلتفت إلى الدلالات المستكنّة في ثنايا الملفوظ ، فيكون في العدول عما يتوقعه تنبيه ودعوة إلى المعنى المستتر الذي يحول دون إدراكه اتصافه بالرهافة والخفاء ممَّا يجعل الصيغ الأصلية عاجزة عن تعيينه ؛ ويفرض بالتالي معاودة التنبيه عليه من خلال أدوات أسلوبية في مقدمتها العدول ، فيكون العدول بذلك أداة لبلوغ المعنى.

([1]) الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، 29/ 56.

([2]) محروس محمد إبراهيم، البنية الصرفية، وأثرها في تغير الدلالة- دراسة تطبيقية على قراءة عاصم-، دار البصائر، مصر، 2007، ص 124.

([3]) عز الدين إسماعيل، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الثقافي، جدة، 1990، ص 879.

ويعلّله الدكتور صلاح فضل العدول بـ «وجود صيغ و مشتقات صرفية شفافة ذات أثر أسلوبي وبخاصة تلك التي تتصل بالمجال العاطفي مثل صيغ التصغير والتحقير والهزل والسخرية وغيرها من الصيغ التي قد تكتسب دلالة أسلوبية جديدة في سياق تفسيري يُبرز شفافيتها ويخفف من عتمتها »[1] ، بمعنى أنَّ في الألفاظ صيغا شفافة تُطلب ويعدل إليها ، وأخرى عاتمة تُجتنب ويُعدل عنها ، وهي نفسها التي تتضمن المعاني التي وصفها عز الدين إسماعيل بالرهافة والخفاء ، إلا أنه حين يضيف « ولعل هذا يضيف هنا بعدا جديدا في دراسة العلاقة بين الصيغ و المعنى ألا وهو البعد النفسي بمعنى الاستفادة من دلالة الصيغة في سياق الكشف عن الأبعاد المسيطرة على المبدع حالة إبداعه »[2] يشير إلى فائدة أخرى نقدية و تداولية في آن ، وذلك حين يتحدث عن استغلال الصيغ المعدول إليها في الكشف عن الواقع النفسي والاجتماعي الذي تشكل في ضوئه الخطاب العدولي ، وهي فكرة نستفيد منها في تحليل الخطاب الموجه من العباد إلى المولى – عز وجل – وكذا الحوادث الدائرة بين كثير من شخوص الخطاب القصصي ، ذلك لأن « المفارقة القرآنية بأنماطها المختلفة أسلوب من أساليب إنتاج الدلالة اللغوية في النص القرآني »[3]. إذ لا بد من غاية تلجئ التعبير إلى ذلك العدول أو الانحراف عما مألوف. ومن ثم لا يوجد ثمة عدول عن صيغة إلى أخرى إلا ويصحبه عدول عن معنى إلى آخر.

2. البعد الفني (الإيقاعي):

للإيقاع حضوره القوي في ظاهرة العدول لأن المتكلم كثيرًا ما يعدل عن صيغة إلى أخرى طلبا لإيقاع معين ومظان ذلك الفاصلة القرآنية و قافية الشعر[4] مثال الأولى كثير في القرآن وبخاصة السور القصار.

و من ذلك مثلاً العدول عن "تَفَعل" إلى "تفعيل" في قوله تعالى: « إِنَا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثقيلاً» «إِنَ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أ أَشَدِ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلاً» « إِنَ لَكَ في النَهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً» « وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً» سورة المزمل ، إذ عدل عن "تبتل" وهي بوزن " تَفَعُلْ" إلى "تَبْتِيلاً" وهي بوزن " تَفْعِيلاً" لإقامة الفاصلة. مع . ما قبلها قليلا ، ترتيلا ، ثقيلا ، قيلا طويلا ، تبتيلا و مع ما بعدها وكيلا ، جميلا ، قليلا ، و من الشعر قول الحطيئة المتقدم

([1]) صلاح فضل، علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة، مجلة فصول، العدد 57. ص18

([2]) صلاح فضل، علم الأسلوب، المرجع السابق،ص 19

([3]) محمد العبد، المفارقة القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة،ط1، 2006، ص 41.

([4]) ينظر: محمد محروس، البنية الصرفية وأثرها في تغيير الدلالة، دار البصائر، القاهرة،2007، 62.

الذي عدل فيه عن اسم المفعول المطعم" ، "المكسو" إلى اسم الفاعل "الطاعم "الكاسي" لتستقيم له القافية. و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

وقد يعدل إلى اسم الفاعل رعاية للقافية فمن ذلك ما أورده ابن جني في خصائصه

لقد عيّل الأيتام طعنة ناشرة أناشر لا زالت يمينك آشرة.

قال ابن جني: «أى ذات أشر، والأشر الحز والقطع، وذو الشيء قد يكون مفعولا كما يكون فاعلا »[2]،فتقدير المعنى لا زالت يمينك مأشورة، ولكنه عدل إلى اسم الفاعل مراعاة للقافية.

والإيقاع من أهم مكونات النظم القرآني، وخصيصة مهمة في تشكيل أدائه، ومن ثم فهو بناء مهم من الأبنية العليا المميزة للنص القرآني بصفة عامة والفواصل الآيات بصفة خاصة. هذا الإيقاع إذا تلمسه القارئ أحس له خفة على اللسان، وراحة في الأذن، وقبولا في النفس يقترب به مما يجده من ذلك لوزن الشعر[3]. وأكثر ما يكون ذلك في فواصل الآيات نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة:5]؛ فمما روعي بمجيء المصدر على صيغة اسم الفاعل في هذه الآية الجانب الإيقاعي؛ فقد وردت الفاصلة في آيات هذه السورة على هذا البناء عشرين مرة من أربع وأربعين بنسبة 45,5%؛ ومن ثم فهو البناء الغالب على فواصل الآيات.

ولأنَّ « ثمة بواعث جمالية تدعو إلى تفضيل مفردة على أخرى في حال التقارب بين دلالتها »[4] فإنَّ النص القرآني كثيرًا ما يعمد إلى استبدال صيغة بأخرى ؛ كأن يؤنث ما حقه التذكير ، أو يذكّر ما أنّثه في مكان آخر ، أو يعبر عن المستقبل بالماضي ، أو يخاطب الواحد بلفظ الجماعة ، أو يستعمل المصدر بدل اسم الفاعل... أو غير ذلك مما سنبينه في موضعه من البحث إن شاء الله.

وهي ظواهر يزخر بها القرآن الكريم بحيث تشكل في الخطاب القرآني ملمحا فنيا وأسلوبيا بارزا يشدُّ إليه الانتباه ويجعل الباحث يتساءل عن الأبعاد الكامنة وراءه .

([1]) الحطيئة، الديوان،

([2]) ابن جني، المرجع السابق، 152/1-153.

([3]) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، المرجع السابق، ص 268.

([4]) صلاح ملا عزيز، المرجع السابق، ص 150.

ولما كانت اللغة في أصلها تقوم على السماع والمشافهة فإنَّ البعد الفني فيها إنما تستأثر به حاسة السمع أولا ، ثم آلة الإدراك ثانيا ، لذلك فإنَّ أيَّ حديث عن الوظيفة الجمالية لا بدَّ أن يكون محوره الإيقاع ، و من ثم ساغ الحديث عن موسيقى الكلام عند تناول البعد الجمالي للعدول .

وذلك من خلال الكشف عن الخصائص الصوتية التي تكفل للمفردة المعدول إليها القبول والاستحسان ، وتجعل مكانها من التعبير يطلبها دون بدائلها ، وتحت هذه الغاية يمكن إدراج كل أنواع المحسنات اللفظية ذات الأثر المباشر على الشحنة الصوتية في العبارة من حيث الإيجاز أو الإطناب ، أو التناغم بين مكونات الملفوظ وهي المساحة التي يتقاطع فيها العدول الصرفي مع علم البديع أحد فروع البلاغة ، وربَّما تقاطع حتّى مع علم التشريح من خلال ارتباط الإيقاع بحاسة السمع ،ذلك أنه « من الأسباب التي تجعل الأذن تضيق بالصوت الرتيب هو أنَّ الصوت الرتيب يُعمِل الأذن على نوع واحدٍ ، فيضني الأعصاب السمعية فعل قطرة الماء في الصخرة إذا وقعت منها دائما على نقطة واحدة ، ولا كذلك التنوع في الشدة والنغمة »[1] .

وبذلك يكون العدول بأثره الإيقاعي عاملاً مريحا للأذن دافعا عنها السأم والأذى بما يهيّؤها لتقبل ما يحمله باقي الملفوظ من معان.

ويمكن أن يتعلق العدول عن مألوف القول بإشاعة الغموض في الملفوظ بنيَّة إطالة أمد الإدراك، ولا يخفى أنَّ الكلام بمعانيه - إلقاءً وتلقياً – مظروف في الزمن ؛ فكلما كان زمن الإدراك أطول كان المعنى أشدَّ التصاقاً بالذهن ، وقد قرر الجرجاني «أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه في النفس أجلّ وألطف وكانت به أضنَّ وأشغف »[2] ، فكان العدول بذلك أداة إجرائية لتثبيت المعنى.

أَمَّا الغاية الفنية الثانية فإنّها تستمدُّ فنيَّتها من العلاقة المعنوية التي تقيمها المفردة المعدول إليها مع مفردات الملفوظ ، وهو ملحظ يبدو معنوياً ولكنّه ليس كذلك في كل

(1) جان ماري جوبو، تر: سامي الدروبي، دار اليقظة العربية، القاهرة، ص 69.

(2) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مجمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دط، دت ، ص 138.

أحواله ، ذلك أنَّ الطباق – مثلا ، أو المقابلة وإن كانتا ذواتي أثر معنوي لاستغلالهما خاصية التضاد أو التقابل بين المعاني لتقريبها من الأفهام ، إلا أنَّ جمالهما الفني لا يُنكر ، بل لعله أبلغ أثرا من الأول ، لأنَّ الأول يقف عند حدود الأثر الإيقاعي وهو حسّي انطباعي ، أما الثاني فإنه يحقق المتعة بعد عمليات ذهنية تقوم على حركة الإدراك ، جيئة وذهابًا ، بين المتقابلات لتنتهي إلى المفاضلة والترجيح ، وبالجملة فإنَّ « تحريك الدال من مجاله الدلالي الخاص إلى آخر يقيم ما يُسمَّى بالاتساع أو المجاز ، وبه يكتسب النص بعده التلميحي الذي يستفز المتلقي إلى البحث عن اللذة الأدبية »[1]

ولما كانت إثارة المتلقي واستفزازه غاية يسعى إليها البليغ فإنَّ التلميح أغنى من التصريح، وفيه ما ليس في التصريح من استنفار لقوى التلقي ، و غني عن البيان أنَّ التلميح ألصق بالعدول من التصريح لما يتضمنه من جهد يبذله المتلقي في طلب المعنى يغيب في حال التصريح ، وقد سبق القول أنَّ « الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد »[2].

إلا أَنَّ ابن الأثير كان تعقب الزمخشري في قوله المتقدم فقال: «لو سلّمنا للزمخشري ما ذهب إليه لكان إنما يوجد في الكلام المطول ونحن نرى الأمر لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن ويكون مجموع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك »[3].

وكأننا بابن الأثير ينظر إلى النص القرآني في هذه المسألة نظرة مجزأة فيعتبر كل فقرة على حدة ، و لكن المعتبر في النص هو الكل لا الجزء ذلك أنَّ الملامح الفنية التي يشارك العدول في إيجادها قد تتجاوز العبارة الواحدة إلى السورة كلها لتعطي إيقاعا نغميًّا خاصا بكلِّ سورة ؛ بل إنَّه يتجاوز إلى مجموعة من السور فتتناغم السورة الواحدة مع سابقتها أو لاحقتها لتعطي رتْلاً نَغَمِيًّا مَميَّزا يشير إلى ما بين السُّوَّر من اشتراك في المعنى ، فيعتضد الصوت بالدلالة ، وهو ما بحثه القدامى تحت مصطلح "المناسبة" وكتب فيه السيوطي مؤلّفه الشهير " تناثر الدرر في تناسب السور".

([1]) صالح ملا عزيز، المرجع السابق، ص 49

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 12/1.

([3]) ابن الأثير، المرجع السابق، 4/2.

كل ذلك يعني أنَّ « الانزياح يضفي على الخطاب الأدبي قيما جمالية ويمنحه طاقات إيحائية ويعين على استكناه أغوار النص في محاولة للوصول إلى دلالاتها الغائبة البعيدة »[1]، وإذا كان هذا حال الانزياح في الخطاب الأدبي فما القول فيه وهو في القرآن الكريم الذي وسع اللغة دلالة وفنا؟.

3. البعد التداولي:

إنَّ اعتبار حال المتلقي عند إنشاء الخطاب من أهم المرتكزات التي قامت عليها البلاغة العربية ولخصتها العبارة الشهيرة " لكل مقام مقال" التي تضرب للمتلقي سهما وافرا في بناء العبارة ، وتجعله شريكا في إنتاج الخطاب، فيضطر المتكلم إلى صياغة خطابه وفق أصناف المخاطبين ومستوياتهم ، ووفق حالاتهم النفسية ومقاماتهم الاجتماعية ، فيلغي من ملفوظه كل ما يأباه مقام التلقي بطرح صيغ وطلب أخرى ، وفي ذلك يقول مارسال كريسو : «إنَّ انعكاس حضور المتقبل على صفحات الخطاب يُعلم علم الضرورة وهو ما يمكن استغلاله في بلورة الأبعاد السوسيولوجية والنفسية في الظاهرة اللغوية »[2].

ويعتبر المسدي « الأسلوب ضغطاً مُسلّطا على المتقبل بحيث لا يُلقي الخطاب إلا وقد تهيأ فيه من العناصر الضاغطة ما يُزيل عن المتقبل حرية ردود الفعل »[3] بمعنى أنَّ الخطاب تصطرع في تشكيله قوَّتا المتكلم والمتلقي ، وأنَّ الأول يستفرغ الجهد في استهداف مداخل التلقي لدى الثاني بمراعاة المقامات المختلفة وهي لا تسمح دائماً باستعمال الأصل اللغوي ، إذ « قد تقتضي مسايرة التعبير للحالة النفسية أنْ تُخرج التركيب عن مقتضى الظاهر كأَنْ يُذكَّر مرة ويؤنث مرَّةً أخرى في السياق نفسه ، أو كأن يأتي بالتركيب على خلاف أصله »[4].

وليست الحالة النفسية للمتلقي وحدها المعتبرة في بناء الخطاب ، إنما هي نموذج لما يمكن أنْ يقع تحته المتكلم من ضغوط عائدة إلى اعتبار حال المتلقي، وإلا فإنَّ ما يؤثر في بناء الخطاب كثير متنوع ؛ منه المكانة الاجتماعية التي تفرض مثلا خطاب الواحد بلفظ الجماعة ، كالذي نجده في مخاطبة الملوك والرؤساء وذوي المناصب ، أو الرغبة في تشريف

([1]) صالح ملا عزيز، المرجع السابق، ص 203.

([2]) عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 64.

([3]) المرجع نفسه، ص 64.

([4]) صلاح ملا عزيز، المرجع السابق ، ص 373.

المخاطب والرفع من شأنه على نحو ما نجده في إضافة لفظ "عبد" العائد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم – إلى ضمير الذات الإلهية في مثل قوله تعالى : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف :1]، وهي إضافة تشريف وتنويه كما نصّ على ذلك المفسرون ، ومثلها إضافة لفظ "عباد الدالة على المسلمين إلى ضمير الذات الإلهية أو واحد من أسماء الله الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان :63].

ومنه إرادة التهكم ، أو إرادة التودُّد في صيغ المبالغة ؛ وغير ذلك كثير. وإذا كان « التنوع في الأسلوب ذا أثر بالغ في مستوى التلقي »[1] ، وكان العدول شكلا من أشكال تنويع الأسلوب فإنه فضلا عن ذلك لا يُكتفى فيه بمظهر واحد أو نوع واحد ولكن « قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا بحيث كلّما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المتقبل أعمق "[2]،« كما أنَّ الطاقة التأثيرية لخاصية أسلوبية تتناسب عكسا تواترها فكلما تكررت نفس الخاصية في نص ضعفت مقوماتها الأسلوبية ، معنى ذلك أن التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجيا »[3].

وهذا ما يوجب على باني الخطاب دوام اليقظة ، والحذر من الوقوع في التكرار أو الغفلة بتضمين خطابه أنواعًا من العدول تلامس في كلِّ مرةٍ جانبا من جوانبه وتجعله يتقبل الرسالة بقبول حسن.

ذلك في الكلام البشري أما في القرآن الكريم فإنَّ ما تقدم من التأكيد على حاجة المتكلم إلى التنويع في الأسلوب وعدم تكرار الأشكال التعبيرية هو ما يفسر ثراءً النص القرآني بغير قليل من أشكال العدول وبخاصة في المستوى الصرفي ذلك أنَّ الصرف موضوعه المفردات المشتقة أسماءً وأفعالا وهي أكثر أنواع الكلم طواعية وقبولا لتصريفها بما يرضي المتلقي ويشبع حاجته الفنية والبيانية ، وهي حاجة يؤكدها تنوع الفئات المخاطبة بالقرآن الموصوف بصلاحيته لكل زمان ومكان، والقرآن كتاب فنّ وجمال كما هو كتاب تشريع وبيان.

([1]) صلاح ملا عزيز، المرجع السابق، ص 334.

([2]) ينظر: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 68.

([3]) المرجع نفسه، ص 68.

وثمة سبب آخر وجيه فطن إليه القدامى وكان مدار حجاج بينهم وهو دفع الملل شد انتباه المخاطب لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه»[1] ومن المحدثين من اعتبر« الانحراف حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ »[2].

وسواءً أكان العدول بين الصيغ لغاية بلاغية أو إيقاعية أو تداولية أو غير ذلك من حاجات الخطاب فإنه في النهاية حقيقة في اللغة وواقع معلوم فيها ، ذلك أن « من سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبل أو بلفظ المستقبل وهو ماض ،نحو " أَتَى أَمْرُ الله " أي يأتي.. و " اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكَ سُلَيْمَان " أي ما تلت ، وأن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل نحو "سر" كاتم " أي مكتوم، والقرآن الكريم جاء مراعيا لسنن العرب في كلامها وأساليبها إلا أنه فاقها في النظم والبيان.

والحقيقة أن القرآن كما هو معجز بمعناه هو كذلك معجز بمبناه والشوهد على ذلك كثير منها:

-المناسبة بين فواصله سواء في السورة الواحدة أو بين السور المتجاورة وهو أمر لا اعتراض عليه لفشوه واطّراده نحو: سورة الإسراء و سورة الكهف و سورة مريم .

-ظاهرة التكرار في بدابات السور، كما في مفتتح الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [الواقعة: 1-2] ، الحاقة﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة 1-3].

-الاشتقاق من قواتح السور كما في: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴾ [الذريات:1] وكذلك في سورة النازعات وسورة الصافات وغيرها ويكون هذا الاشتقاق حتى في وسط السور كما في سورة المعارج﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج:1].

-زيادة هاء السكت كما في قوله تعالى﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ

(1) الزمخشري، المرجع السابق، 12/1.

(2) المسدي، المرجع السابق، صل 36.

كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾[الحاقة: 19-27] والشاهد فيها: (كتابيه، حسابيه ماليه، سلطانيه) لتتناغم مع باقي الفواصل قبلها وبعدها.

الفصل الثاني: نماذج لصيغ العدول في القرآن الكريم ودلالتها

المبحث الأول: العدول الاسمي

المبحث الثاني: العدول الفعلي

المبحث الثالث: أنموذج العدول الصرفي في سورة الكافرون والأيات الأولى من سورة النازعات.

المبحث الأول: العدول الاسمي

1- العدول في المشتقات:

أ- العدول إلى اسم الفاعل:

فمن بديع لغة التنزيل في هذا الملحظ قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾ [الكهف: 18] فإذا أنعمنا النظر في صيغة اسم الفاعل "باسط" مقابل البديل المتاح الذي هو "يبسط " وجدنا أن الفاعل ينماز عن المضارع، بدلالته على الجمود والثبات والرسوخ، حيث يمتنع مجيء الفعل في هذا الموضع، لأنه لا يؤدي إلى الاتساق المطلوب بين الصيغة والدلالة. فالفعل يقتضي مزاولة الصفة وتجددها، في حين يدل الاسم على ثبوت تلك الصفة ورسوخها[1]، ويعلق عبد القاهر الجرجاني على الآية السابقة قائلا: «فإنّ أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: 18] لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئا فشيئا، ولا فرق بين " كلبهم باسط" وبين أن يقول : " وكلبهم واحد" مثلا في إنّك لا تثبت مزاولة، ولا تجعل الكلب يفعل شيئا، بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب»[2]

فقد جاء الانتقال من صيغة الفعل إلى صيغة (اسم الفاعل) ضمن قصة يوسف عليه السلام، وذلك في قول الله تعالى على لسان الإخوة: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ [يوسف:73] فالأسلوب القرآني لم يلجأ إلى صيغة الفعل(ما كنا لنسرق)، كي يبرهنوا على عدم تحليهم بصفة السرقة أساسا، بل وعدم صلاحيتهم للاتصاف بها، بمعنى أن فعل السرقة لا يتأتى منهم أبدا، لأنهم من بيت النبوة

([1]) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، 175.

([2]) المرجع نفسه، 175.

الشريفة،من هنا جاء قول الزمخشري في تفسير هذا النص المبارك «وما كنا قط نوصف بالسرقة، وهي منافية لحالنا»[1]

وهذا التفسير يبرز العدول الحاصل من صيغة الفعل (لنسرق) إلى صيغة الفاعل (وما كنا سارقين)، نحو قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص 71-72]

حيث عدل عن فعل المضارع "سأخلق" التي تفيد الاستقبال إلى صيغة اسم الفاعل " خالق" وهذا يدل على أن أمر الله نافذ وكائن لا محالة. وقد يعدل التعبير القرآني عن صفة المشبهة إلى اسم الفاعل نحو قول الله تعالى، ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود12]، فقد نزلت هذه الآية الكريمة في بيان حال المشركين الذين كانو لا يعتدون بالقرآن الكريم، ويتهاونون به وبغيره مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم مالا يقبلونه ويسخرون منه.

وقد عدل السياق عن الصفة المشبهة "ضيق" إلى اسم الفاعل" ضائق" ليدلّ على أن الضيق الذي صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ضيق طارئ لما يعرض له في تبليغ الرسالة من الشدائد، لأنه عليه السلام أفسح الناس صدرا، واسم الفاعل "ضائق" لادلالة فيه على تمكن الوصف في الموصوف[2].

ولذلك فمن يريدالدلالة على ثبوت الوصف ودوامه نصا،فعليه أن يجيء بالصفة المشبهة، ومن يريد الدلالة نصاعلى حدوثه وتقييده بزمن معين دون باقي الأزمنة، فعليه أن يجيء باسم الفاعل[3].

وهذا ما نلمسه في هذا السياق إذ إن المقام –هنا- مقام دلالة على الحدوث و العوارض، وليس مقام دلالة على الثبوت والاستقرار، ولذلك انزاح عن الصفة المشبهة إلى

([1]) ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 268/2.

([2]) ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 363/2، ابن عاشور، المرجع السابق، 216/11، والألوسي ، المرجع السابق، 19/12.

([3]) حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف ، القاهرة، ط4(دت)، 307/3.

اسم الفاعل، ولنا أن نضيف ملحظا آخر وهو أن العدول إلى "ضائق" جاء لمراعاة النظير مع قوله تعالى : "تارك" ، وبهذا يتعالق الغرضان اللفظي و المعنوي، على السواء في هذا السياق، فالقرآن معجز بألفاظه ومعانيه و بأسلوبه ومبانيه.

ب- العدول بين صيغة المبالغة :

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [هود 25:26] حيث إن الشاهد يكمن في مفردتين اثنتين هما (نذير) و (أليم)، إذ تتبين الزيادة المعنوية في تخويف هؤلاء المعاندين، بأن الانذار له وحدهم دون غيرهم من الأقوام، لأن الأصل في مفردة (نذير) هو (منذِر) الذي هو اسم فاعل كما لا يخفى[1].

وقد جاءت عملية العدول من صيغة اسم الفاعل (منذر) إلى صيغة البالغة (نذير) لكي تتوافق في الحدث الكلامي زيادة المبالغة والقوة في أداء المعنى، والذي يؤكد هذا التحيل ويقويه هو وصف هذا الانذار بكلمة (مبين) ليظهر في الوصف تقوية المعنى، والدلالة على قوة الإنذار ووضوح معناه.

ثم تأتي الآية الثانية من هذا النص القرآني، لكي تكون عامل تخويف إضافيا، وذلك حين يهدد هؤلاء الكفرة بعذاب يوم القيامة، فيصف ذلك يوم العصيب بأنه (أليم) على وفق صيغة المبالغة (فعيل)، وهذه صيغة المبالغة (فعيل)، وهذه الصيغة في حقيقة الأمر عدول عن صيغة اسم فاعل (مؤلم). والألم كما هو معلوم- يأتي من العذاب الموجود في اليوم، بيد أن الاتساق الدلالي تتبين روعته في الأسلوب القرآني، حين يجعل هذا يأتي من اليوم نفسه، إذ إنه جعل ذلك اليوم العصيب مؤلما، زيادة في إبراز خطورة العذاب الموجود في اليوم المذكور[2].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص5] حيث "عدل عن صيغة " عجيب" القياسية إلى صيغة " عجاب" لسببين، الأول رعاية الفاصلة و

([1]) ينظر:عبد الحليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتاب،ط3، 1995، ص 69.

([2]) ينظر: عبد الحليم حنفي، المرجع السابق، ص71.

هذا سبب أسلوبي، والثاني أن صيغة " فعال" من صيغ الأدواء مثل الصداع والزحار، فلربما أراد القائلون بأن ما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم- من أمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء"[1].

ج- العدول إلى اسم المفعول:

من ذلك ما جاء قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 25] ، حيث عدل اسم المفعول (مطّهرة) على اسم الفاعل (طاهرة)، وقد بين الزمخشري سر ذلك العدول والإيثار لتلك الصيغة فقال: «فإن قلت هلاّ قيل طاهرة (قلت) في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في (طاهرة) وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن، وليس ذلك إلا الله عزّوجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم إلى كل مزية فيما أعد لهم»[2]، سبب اختيار صيغة المفعول إذ أن صيغة الفاعل هنا تثبت صفة الطهر للأزواج، أما صيغة المفعول فثبت تلك الصيغة وزيادة، إذ تدل كذلك على أنّ ثمة فاعلا لها، وليس ذلك إلا الله عزوجل فكان في ذلك مزيد تفخيم وتشريف لتلك الأزواج الموصوفة.

فمن ذلك قوله تعالى: عن نبيه داود عليه السلام﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص: 18-19] حيث عدل عن مقابلة يسبحن فلم يقل (والطير يحشرن) فعدل إلى اسم المفعول. قال الزمخشري: «وقوله(محشورة) في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جئ به اسما لا فعلا، وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيئ- والحاشر هو الله عزوجل- لكان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت، فذلك حشرها»[3].

فغايرت الآية بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه، فالتسبيح يقع من المخلوقات شيئا فشيئا أما الحشر فيقع من الله تعالى جملة واحدة بأمر واحد، إذ يقول للشيء كن

([1]) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2002، ص 433.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق53/1.

([3]) المرجع نفسه،29/4.

فيكون، كما أن ذلك يدل على اجتماع الطير لداود عليه السلام في وقت واحد ساعة تسبيحه لا أنها تحضر في أوان تسبيحه شيئا فشيئا بل تحضر معه جملة واحدة من بداية التسبيح إلى منتهاه.

ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود 103] حيث قال " مجموع له" ولم يقل يجمع فيه، أو له قال الزمخشري: « فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لابد من أن يكون ميعادا مضروبا للجمع يجمع الناس له»[1].

2- العدول في المصادر:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ [النبأ: 28] حيث عدل فيه عن المصدر تكذيبا لأجل الايقاع،ولما يدل عليه من المبالغة في التكذيب أكثر من المصدر الأصلي خاصة وأن أغلب ما يكون للمبالغة[2]

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح: 17] حيث عدل الآية عن مصدر (إنباتا) إلى (نباتا)، وقد علل أغلب المفسرين للاختيار في (أنبتكم) أنه ضمنه معنى الإنشاء[3]، وكان الأولى أن يبينوا سر العدول في اسم المصدر (نباتا) إلا أنهم اكتفوا بتوجيه بقولهم (والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا)[4].

أمّا الرازي فقد كان أطول عنقا في رمق سر هذا العدول حيث قال: كان ينبغي أن يقال أنبتكم إنباتا إلا أنه لم يقل ذلك بل قال أنبتكم نباتا، والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي أنّه لو قال أنبتكم إنباتا غريبا، ولما قال أنبتكم نباتا، كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا، وهذا الثاني أولى صفة لله تعالى وصفة غير الله محسوسة لنا، فلا نعرف أنّ ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل بواسطة إخبار الله تعالى..... وأما لما قال " أنبتكم من

([1]) الزمخشري. المرجع السابق، 428/2.

([2]) ينظر: الزمخشري، 187/4، والدر المصون، 465,466/6، 467، والألوسي، 30/ 16، 17.

([3]) الزمخشري، المرجع السابق،375/5.

([4]) الرازي، المرجع السابق، 15/ 743، 744.

الأرض نباتا" على معنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا كاملا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا، وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقا لهذا المقام. فظهر أنّ العدول من تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف[1].

فالإنبات إنّما ينظر فيه إلى صنع الله عزوجل وهو خفي، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة، فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطفه، والامتنان على عباده بنعمه.

***العدول إلى صيغة (اسم المرة):** يؤكد الصرفيون على أن اسم المرة لا يدلّ إلا على الفعلة الواحدة، وقد وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف:60-61]

فبوسعنا أن نُنعم النظر في عدول الصرفي من صيغة المصدر (ضلال)، إلى صيغة اسم المرة (ضلالة). والسر الكامن وراء هذا التجاوز الصيغي عائد إلى أن الملأ من قوم نوح عليه السلام قد اتهموه بالضلال، وأكدوا الحدث الكلامي ب(إنّ) و(اللام) مبالغة في ادّعاء رؤيتهم لهذا النبي المرابط أن في ضلال مبين[2].

ولفظ الرؤية –كما هو معلوم- دال على التثبت واليقين، وحرف الجر (في) متضمن معنى الانغماس في الضلال، فضلا عن إتيانهم بلفظة (مبين) الدالة على الوضوح والثبات، فكان ذلك مدعاة إلى أن يسلك سيدنا (نوح) عليه السلام مسلكا آكد وأبلغ في الرد عليهم، فعدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المرة، وجاء به نكرة في سياق النفي لكي يفيد العموم، واختارمن بين حروف الجر(الباء) لنفي أدنى ملابسة له بالضلالة. فكأني به يريد أن يقول :(ليس بي نوع من الضلال ألبتة، فكان هذا أبلغ في عموم السلب[3]،ويقول الآلوسي في هذا الصدد: «فيرجع حاصل المعنى: ليس بي أقل قليل من الضلال، فضلا عن الضلال المبين)[4] فيكون نفي الأدنى من نفي الأكثر»[1].

([1]) الرازي، المرجع السابق، 15/ 743.

([2]) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزيا القرآن الكريم،دارإحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، 235/3.

([3]) الرازي، المرجع السابق، 174/7.

([4]) الألوسي ، المرجع السابق، 151/ 8.

فقد كان مقتضى الظاهر في هذا السياق أن ينفي نوح –عليه السلام- تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر "ضلال" التى وردت بها تلك على لسان قومه،ولكنه انزاح عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرة " ضلالة " مبالغة في النفي وذلك لأن الضلالة أدنى من الضلال من وأقل لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه، وأما الضلال فيطلق على القليل والكثير من جنسه، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى[2].

وبتأمل هذا السياق القرآني نلاحظ أن اتهام نوح عليه السلام بالضلال جاء مؤكدا مبالغا فيه عن طريق التعبير بفعل الرؤية " إنا لنراك في ظلال " المفيد لمعنى التثبت واليقين، وتأكيده بأنّ واللام ثم تعديته بحرف الجر" في" المفيد لمعنى الإحاطة والظرفية، وقد اقتضى ذلك أن يسلك نفي هذا الاتهام على لسان نوح عليه السلام – مسلكا آكد وأبلغ من إثباته.

فكان العدول عن صيغة المصدر إلى المرة "ضلالة" وقد أفاد ورودها في سياق النفي وتقديم الظرف "بي" عليها النفي على نحو قاطع أن يكون قد علق به أدنى قدر مما يسمى ضلالة [3]،

وهكذا جسدت بنية بنية العدول المخالفة لمقتضى الظاهر موقف طرفين متباعدين: موقف قوم نوح عليه السلام الذين بالغوا في نسبة الضلال إليه جعلوه مستقرا فيه، وقف نوح الذي نفى الضلالة عنه بإثبات مقابلها له، وهو تبليغ دعوى الرسالة التي تقتضي أن يكون على الحق والهدى فقال: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾من هنا برزت أهمية الاتساق بين لفظ (الضلالة)، وبين مدلوله الذي ينفي أقل القليل من الضلال، وذاك لوقوعه نكرة في سياق النفي، فيعم أدنى وحدة من وحداته الصغيرة.

*المغايرة بين صيغتي " بني" و "أبناء" في قوله عز وجل في سورة النور ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ

([1]) ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 67/2، السيوطي، وتفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1، دت،202.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 108/2، وانظر الزركشي،المرجع السابق،3 /403

([3]) انظر:محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار،الهيئة المصرية العامةللكتاب،ط1، 1990، 492/8.

ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: 31]

فقد استخدم السياق القرآني صيغة جمع التكسير "أبناء" مضافة إلى ضمير المؤمنات و إلى بعولتهن، ثم عدل عنها إلى صيغة جمع المذكر السالم " بني" عند الإضافة إلى الإخوان والاخوات.

و لمعرفة سر هذا العدول ينبغي أن ندرك أولا الصيغة الأولى " أبناء" هي إحدى صيغ القلة في جموع التكسير، أما صيغة جمع المذكر السالم " بني" فقد اختلف النحاة حولها، فمنهم من ذهب أنها إلى القليل، ومنهم من ذهب إلى أنها للكثير، غير أن الذين ذهبوا إلى أنها للقليل قد نبهوا إلى أنها إذا أضيفت إلى ما يفيده الكثرة وقد تحقق ذلك بإضافة بني إلى الإخوان و الأخوات فإنها حينئذ تدل على الكثير[1].

ولعلّ هذا هو سر العدول عن الصيغة الأولى " أبناء" إلى الصيغة الثانية " بني" في سياق الآية الكريمة، لأن بني الإخوان وبني الأخوات، هم أكثر المذكورين في الآية ، فمن المعروف أن الإخوان قد يكنون إخوانا أشقاء، وقد يكونون إخوانا من الأم، وقد يكونون إخوانا من الأب، وقد يكونون إخوانا من الرضاعة، وكذلك الاخوات فإنهن قد يكنّ أخوات شقائق، وقد يكن أخوات لأم و أخوات لأب وأخوات من الرضاعة، وحكم هؤلاء جميعا فيما ذكر، وهم أكثر من أبناء المرأة وحدها ومن أبناء البعولة وحدهم، ولهذا استعمل التعبير القرآني – فيما نرى صيغة أبناء لما هو أقل، فقال: أبنائهن أو أبناء بعولتهن ثم عدل إلى صيغة "بني" واستخدمها لما هو أكثر فقال " بني إخوانهن أو بني أخواتهن" وهذا ما يقرره صاحب" روح المعاني" حيث يقول: " المراد بالإخوان ما يشمل الأعيان:وهم إخوة لأب وحد وأم واحدة، وبني العلات: وهم أولاد الرجل من نسوة شتى، والأخياف وهم أولاد المرأة من آباء شتى،ونظير في الأخوات، واستعمل " بني" معهم دون " أبناء" لأنه أوفق بالعموم، وأكثر استعمالا في الجماعة ينتمون إلى شخص مع عدم اتحاد صنف قرابتهم فيما بينهم، ألا ترى أنك كثيرا ما تسمع بني آدم وبني تميم، وقلما تسمع أبناء آدم، وأبناء تميم،وفيما نحن فيه قد يجتمع للمرأة ابن أخ شقيق، أو إخوة أشقاء أعيان وبنو علات وأبناء أخ أو إخوة لأب

(1) انظر: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، شكة الفجر العربي، بيروت، (دط)، دت) ص 122.

وأبناء أخ أو إخوة لأم كذلك، ويتأتى مثل ذلك في ابن الأخت، لكن لا يتصور هنا بنو علات، كما لا بتصور في أبناء الأخ الأخياف، والاجتماع في أبنائهن و أبناء بعولتهن، وإن اتفق ليس بتلك المثابة[1].

ومنه العدول عن صيغة مصدرية إلى أخرى كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت64]

فالحياة والحيوان بمعنى واحد،إذ إنّ كلا مهما للفعل " حيي"، ولكن اللافت للانتباه في هذا السياق هو أن التعبير القرآني بدأ بمصدر "الحياة"، ثم عدل عنه إلى مصدر آخر " الحيوان" ولابد أن يكون لهذا العدول دلالات يقصد إليها النص القرآني.

والذي نلاحظه أن في بناء الصيغة الثانية " الحيوان" من المبالغة والزيادة في أداء المعنى ما ليس في بناء الصيغة الأولى "الحياة"، ومرد ذلك كما يقرر الزمخشري- هو ما في بناء " فعلان" من معنى الحركة والاضطراب، كالنزوان و النغصان واللهبان، وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة[2].

وهذا ماتقرر لدى الباحثين المعاصرين – إذ يرى بعضهم-[3] أن التحول من صيغة "الحيوان" مع الدارالآخرة يفيد المبالغة في تحقق معنى الحياة في تلك الدار، والإشعار بأنها هي الدار الجديرة بأن تسمى الحياة، وقد حفلت الآية الكريمة بما يدعم هذا التحول، ويعمق دلالته على سمو الحياة الأخروية بالقياس إلى الحياة الأولى"الدنيا". فبينما وردت صيغة الحياة مقيدة بالوصف " الدنيا" وردت صيغة " الحيوان" بلا وصف، وبينما بولغ في إثبات معنى اللهو واللعب للحياة الأولى بأسلوب القصر" ما- إلا" بولغ في المقابل في إثبات معنى الحياة للدار الآخرة بأن واللام و تعريف طرفي جملة الخبر " لهي الحيوان" وبينما وقعت صيغة " الحياة" مبتدأ أخبر عنه باللهو واللعب، وقعت صيغة الحيوان في جملة الإخبار عن الحياة الآخرة.

([1]) الألوسي، المرجع السابق، 142,143/18.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق ، 468/3، ينظر: أبو السعود، المرجع السابق، 160/5.

([3]) ينظر: حسين طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار البشير، عمان ط1، 1996، ص 245,247.

فكأن هذه الدرا ليست مجرد وعاء أو مسرح للحياة الأخروية بل إنها ذاتها حياة وبهذا أسهمت بنية العدول في هذه الآبة الكريمة في تنبيه المتلقي إلى وجوب الإهتمام بالحياة الآخرة، وضرورة العمل والإعداد لها، بدلا من الانشغال بالدنيا التي لا تزن عند الخالق جناح بعوضة.

ومما دق وخفي وجه العدول فيه ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ [البقرة: 114]، فالملاحظ في السياق هو الانزياح عن " التخريب" إلى " الخراب"، أي الانزياح عن المصدر إلى اسم المصدر،و القياس أن يقول: " وسعى في تخريبها" لأن مصدر الفعل خرّب" هو التخريب ولابد من نكتة دلالية تكمن وراء هذا العدول، قال الزمخشري: « الخراب يكون بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان »[1].

ويظهر أنه جعل دلالة الخراب مقصورة على انقطاع الذكر في حين جعل دلالة التخريب مقصورة على نقض البنيان، وعلى ها يكون السعي في تخريب المسجد إما حقيقيا وذلك بالهدم والنقض، وإما يكون مجازا بمنع المصلين والمتعبدين من دخوله، وعندما أراد النص القرآني أن يجمع بين هذين المعنين استخدم اسم المصدر " الخراب"، فالمراد هنا الخراب والتخريب أي تعطيل عن ذكرالله والتهديم، لأن اسم المصدر "الخراب" يشملها معا، فالخراب اسم مصدر بمعنى التخريب أو هو مصدر خرِب المكان يخرب خرابا وهو هنا السعي في هدمها ورفع بنيانها، ويجوز أن يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون أعم، «تنبيه على كون الخراب يشمل التعطيل عن الذكر فيكون المعنى معنويا، فيكون المعنى حقيقيا وهو نقض البنيان، ولو جاء بالمصدر " التخريب" لما زاد على معنى الهدم والنقض، والله أعلم »[2].

([1]) الزمخشري، المرجع السابق،205/1.

([2]) يوسف عبد الحميد الهنداوي، المرجع السابق، 150.

3- العدول في الجنس (بين صيغ المذكر والمؤنث):

ويرد هذا اللون من العدول للتنبيه إلى خطأ عقائدي، ومثال ذلك ما جاء في قول الحق تبارك وتعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام 78]، حيث يظهر العدول الصرفي في هذه الآية الكريمة في استخدام التعبير القرآني صيغة المؤنث " الشمس"، ثم الانتقال منها إلى صيغة المذكر باللجوء إلى اسم الإشارة المذكر"هذا"، ولابد أن يكون وراء هذا العدول سرّا كامنا يجعل الانتقال من إلى صيغة المذكر باللجوء إلى اسم الإشارة " هذا"و ولابد أن يكون وراء هذا العدول سّرا كامنا يجعل الانتقال إلى اسم الإشارة المذكر "هذا" أولى بمكانه من اسم الإشارة "هذه"، فماذا عسى أن يكون هذا السر؟.

إنّ في العدول عن صيغة المؤنث"الشمس" إلى صيغة المذكر"هذا" في هذه الآية الكريمة معنى بلاغيا عظيما يتمثّل في الاحتراز من إدخال شبهة التأنيث في مجال الربوبية، يقول الزمخشري: » وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله " علاّم"، ولم يقولوا "علاّمة" و إن كانت العلاّمة أبلغ، احترازا من علاّمة التأنيث»[1]، وكأن العدول عن مقتضى الظاهر " هذه" إلى خلاف مقتضى الظاهر"هذا" يهدف إلى تصحيح خطأ عقائدي في الحضارات القديمة يتمثل في عبادة الشمس وغيرها من الكواكب، كما يهدف إلى التعريض الخفي بمن يتبع هذا الخطأ المتوارث، فكيف يحكمون للذكر بالشرف والأفضلية، ثم يتخذون ربة مؤنثة تنحط عن كمال الربوبية؟ وبهذا استطاعت بنية العدول المخالفة لقتضى الظاهر أن تجسد المفارقة العقائدية بين إبراهيم عليه السلام وقومه، وتنبه المتلقين – وهم قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام- إلى تصحيح الخطأ الواقع في عقيدتهم.

وقد يجمع العدول عن المؤنث إلى المذكر- في النص القرآني- بين الوظيفتين المعنوية والجمالية على السواء، كما في قوله تعالى عن امرأة لوط عليه السلام : ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81]

(1) الزمخشري، المرجع السابق، 40/2.

حيث بدأت الصياغة بصيغة المؤنث" امرأته كانت"، ثم انتقلت إلى صيغة جمع المذكر " الغابرين" وظاهر السياق يقتضي أن كون" كانت من الغابرات"، غير أنّ النّص القرآني آثر المخالفة على المطابقة بين المؤنث والمذكر في هذا السياق، وهو بهذه المخالفة يفرز دلالتين:

الأولى: معنوية إذ أن العدول عن مقتضى الظاهر يهدف إلى إثبات التساوي بين الذكر والأنثى في استحقاق العذاب والهلاك، إذ انحرف أيّ منهما عن طريق الصواب، لأنّ قوم لوط استحقوا العذاب بذنب اختص به الرجال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الاعراف: 81]

وألحقت بهم امرأة لوط لأنّها " كانت على دين قومها تساعدهم على لوط، وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم"[1]، فكانت بمساعدتها لقومها مشاركة لهم في فعلهم النكر، ولذلك حقّ عليها العذاب معهم.

الثانية: جمالية إذ أنّ العدول عن مقتضى الظاهر" الغابرات" إلى خلاف متضى الظاهر " الغابرين" في فاصلة الآية، حافظ على النسق الموسيقي الذي وردت فيه، حيث تنتهي الفواصل في الآيات السابقة واللاحقة بحرف النون المسبوق بالواو أو الياء، وذلك ساعد في تناغم إيقاع الفواصل، وكثّف تأثيرها في نفوس المتلقين.

ومن مواطن هذا العدول في قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف 30].

حيث يظهر العدول الصرفي في الآية الكريمة بتذكير الفعل" قال" مع فاعله المؤنث "نسوة"، إذ لم يقل:" وقالت نسوة"، وقد أجاب المفسرون عن سبب هذا العدول بقولهم إنّ " نسوة" جمع تكسير للقلة لا واحد له من لفظه، وتأنيثه غير حقيقي، لذا لم تلحق فعله تاء التأنيث، فقال الزمخشري: « والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي، كتأنيث اللمة، ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث»[2]، وقال التوحيدي: « لم تلحق تاء التأنيث لأنه جمع تكسير المؤنث، ويجوز فيه الوجهان، ونسوة كما ذكرنا جمع قلة»[3]، ويظهر من هذا

([1]) الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة النور العلمية، بيروت، ط1، 1992، 2//221.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 436/2.

([3])أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل،دار الفكر، بيروت،ط1، 1999، 5/ 300-301.

التوجيه انصراف المفسرين لإثبات مذهب النحاة الذي يقوم على جواز تذكير الفعل وتأنيثه مع فاعله إن كان جمع تكسير.

***العدول عن المذكرإلى المؤنث:** وهذا النوع من العدول نادر الوقوع في القرآن الكريم والشعر وكلام العرب، على حين رأينا أن العدول عن المؤنث إلى المذكر واسع وكثير، وفي هذا يقول ابن جني:" وتذكير المؤنث واسع جدّا، لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر و الإغراب[1]، ومن أمثلته في النص القرآني قوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة: 275]

وموضع العدول في هاته الآية هو لفظة "موعظة" كونها وردت مؤنثة وكان مقتضى الظاهر أن تجيء بصيغة المذكر " وعظ"

وقد وردت الآية الكريمة في معرض الحديث عن الربا، وتحذر آكليه مغبة التمادي، وسوء المصير، وقد بدأ السياق بصيغة المذكر"جاءه"، وانتقل إلى صيغة المؤنث " موعظة"، وكان مقتضى السياق بموجب المطابقة في التعبير أن يطابق بين الفعل وفاعله فيكون على النحو التالي: " جاءه وعظ" لكن السياق خالف بين الفعل وفاعله في الجنس، فعدل عن الفعل المذكر " جاءه"، إلى الفاعل المؤنث "موعظة" لتنبيه المتلقي إلى خصوصية هذه الموعظة، وأنها موعظة شديدة اللهجة تحمل معنى الزجر والتهديد، لكي يرتدع آكل الربا ويبتعد عن المصير المظلم، قال صاحب الفتوحات الإلهية: «الموعظة والعظة والوعظ معناهما واحد، وهو الزجر والتخويف وتذكير العواقب»[2].

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [فصلت 37]

فقد عاد بضمير المؤنث في"خلقهن" على الليل و النهار والشمس والقمر[3]، وقد علل الزمخشري ذلك بقوله: «الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر، لأنّ حكم جماعة مالا عقل حكم الأنثى أو الإناث»[4]، وفي هذا مما لا يخفى حمل على ظاهر المعنى، دون إفادة

([1]) ابن جني، المرجع السابق ، 416/2.

([2]) العجيلي الشافعي: الفتوحات الإلهية، دار إحياء التراث العربي، ط1،دت، 288/1.

([3]) ينظر: التوحيدي، المرجع السابق ، 499/7.

([4]) الزمخشري، المرجع السابق، 206/4.

الدقيق الذي أراد أن يبثّه الحق سبحانه وتعالى عبر هذا العدول، ذلك أنّ في تأنيث الضمير العائد على الليل والنهار والشمس والقمر أثرا في بيان عظمة الخالق وقدرته، فهذه الأشياء التي ذكرها مخلوقات لله، وهو سبحانه أحق أن نعبده ونسجد له منهن.

4- *العدول في العدد:*

-العدول من المفرد إلى المثنى:

كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: 64]

إذ موضع العدول في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ بعد أن ذكرت مفردة على لسان اليهود ولم يأت السياق "بل يده مبسوطة" لنفي الغلّ عنها.

ووصف اليد بالغل كناية عن البخل في العطاء، لأن العرب يجعلون العطاء معبّرا عنه باليد، ويجعلون بسط اليد استعارة للبذل والكرم، ومن هنا فإن اليهود لما قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ كناية عن نسبة البخل إلى الله –تعالى الله عمّا يقولون علوا كبيرا- أجيبوا بنقض كلامهم وفق مرادهم- أي بطريقة الكناية- فيل: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ بتثنية اليد، ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ في إثبات سعة فضل الله تعالى. فذكر اليد هنا بطريق التثنية إنّما جاء لزيادة المبالغة في الجود[1].

وفيها أيضا مخالفة لإستعمال اليد في النعمة والبذل في جانب المخلوقين، لأنّ اليد مع المخلوقين تأتي مفردة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا ﴾ [الإسراء: 29].

وعلى هذا النمط استعملت اليهود اليد في جانب الله، فحينما ردّ الله مقالة اليهود خالف طريقة استعمال اليد، وجاءت بالتثنية﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾،للتأكيد على عدم مشابهته للخلقه.

([1]) الزمخشري، المرجع السابق، 351/1، أبو السعود، المرجع السابق، 58/3.

ثم إن جرس لفظ التثنية (يداه) وما يوحيه إشباع حرف المد لدلالة على دوام البسط، وكثرة العطاء، وعدم انقطاعه ليلا أو نهارا.

واليد في حال الاستعارة للجود والكرم لا يقصد بها مفردا ولا عددا، فالتثية هنا مستعملة في مطلق التكرير للمبالغة كما في قول الشاعر:

جَادَ الحِمى بَسطُ اليَدَيْنِ بِوابِلٍ شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلاَعُهُ وَ وِهَادُه[1]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:78]

وموضع العدول في هذه الآية (لكما) في الموضعين، وقد عدل فيها إلى لفظ المثنى بعد أن سبق بخطاب المفرد في قوله: (أجئتنا لتلفتنا) وكان السياق المتوقع أن يكون (لك) على صيغة المفرد، ولكنه عدل عن ذلك إلى المثنى فما سرّ هذا العدول؟

السر في ذلك – والله أعلم- أنّ الكبرياء التي يخشى منها فرعون شاملة لموسى و أخيه هارون عليهما السلام، فلّما كان تصديق أحدهما مستلزما تصديق الآخر، لإتحاد دعوتهما ثمّ العدول إلى المثنى.

وقد جعل فرعون الكبرياء لموسى و لأخيه بناءا على اعتقاده في أنّ موسى – عليه السلام- لم يأت بالرسالة لأمر ديني، وإنّما جاء بها لأمر دنيوي، و هو العلو والكبر.

وكون الرسالة لأمر دنيوي بناءا على اعتقاد فرعون المستقر في نفسه، وهذا الأمر – وهو العلو والكبرياء- لا يخص موسى وحده، و إنّما يشمله هو وقومه، وفي مقدّمتهم أخوه، فهو يعتقد أنّ الغرض من الرسالة قلب حال بني إسرائيل من العبودية إلى الرفعة والعلو و الكبرياء، وهذا لا يجعل العلو أو الكبرياء يختص بموسى وحده.

هذا فضلا عن سياق الآيات من أول القصة هو وصف آل فرعون بالإستكبار و الإجرام ﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴾ [يونس :75] فهم يرون أن سر المجيء بالرسالة هو الاستكبار، ومن ثم فإنهم يتصورون أنّ غيرهم لا يأتي بما هم عليه، أي أنّهم يرون

([1]) ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 755/1.

غيرهم بمنظورهم و بما استقرّ في نفوسهم، في حين كان إسناد المجيء إلى موسى عليه السلام خاصة، لكونه هو المقصود بالرسالة، والمبلغ عن شرع الله تحديدا.

وهذا ما أشار إليه الإمام أبو السعود بقوله: « وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين بإعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام، واستلزم التصديق لأحدهما التصديق للآخر، وأما اللفت و المجيء له فحين كان من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى عليه السلام خاصة»[1].

-العدول عن المثنى إلى المفرد:

يأتي أسلوب العدول من لفظ التثنية إلى المفرد لأسرار بيانية تدرك من خلال السياق النص القرآني، ومن أمثلة هذا النوع من العدول قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَآۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 63]

إذ أن موضع العدول في قوله تعالى: ﴿ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ بالإفراد، وهو عدول عمّا تقدّم من السياق الدال على التثنية في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾، فلماذا عدل إلى الضمير المفرد العائد على الاثنين ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ وكان المتوقع من السياق أن يقال:(أن يرضوهما). وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ نكتة العدول تكمن في التأكيد على توحد الرضائين، ذلك أن إرضاء النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفك عن إرضاء الله تعالى وهو تابع لإرضاء الله، وحصول المخالفة بينهما ممتنع (فتلازمهما جعلا كشيء واحد فعا إليهما الضمير المفرد[2]،وفي ذلك دعم لموقف النبي صلى الله عليه وسلم النفسي، وسلوان له فيما تحمله من أذى المشركين.

ومما يدل على عود الضمير مفردا على الاثنين: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [النور:48]، حيث عدل في الآيتين الكريمتين إلى الضمير المستتر المفرد في قوله: (ليحكم) العائد على الاثنين لفظ: (الله ورسوله)، وكان مقتضى السياق أن يقال: (ليحكما).

([1]) أبو السعود، المرجع السابق، 179/4.

([2]) الآلوسي، المرجع السابق،2 /317.

ونكتة العدول أنها جاءت للدلالة على توحيد الحكمين والإشعار بأنّ ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم هوما يحكم به سبحانه وتعالى عينه.

و أشار الألوسي إلى علة أخرى في عدم تثنية الضمير العائد على لفظ الجلالة مع غيره، وهي أنّه لا يجمع بين الله تعالى وغيره في ضمير تثنية، بل يجب أن ينفرد بالذكر، تعظيما له سبحانه، وتنزيها له أن يشرك معه في اللفظ أحد [1].

ومن ذلك قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: 16] بإفراد كلمة (رسول) التي جاءت في سياق آخر بصيغة التثنية، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: 47].وذلك وفاقا للأصل.

وموضع العدول في قوله تعالى ﴿ إِنَّا رَسُولُ ﴾، حيث وردت لفظة (رسول) مفردة مع أن ظاهر السياق يقتضي تثنيتها، لما تقدّم من خطاب الاثنين في قوله:(فقولا)، وسرّ هذا العدول أنّ لفظة (رسول) من الألفاظ المشتركة، تأتي بمعنى المُرْسَلْ، وبمعنى الرسالة، فهي بالمعنى الأول في سورة طه،ولذا ثُنِّيت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَسُولَا ﴾ وبالمعنى الثاني في سورة الشعراء، ولذا أفردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ ﴾،لأنّها رسالة واحدة[2] ، وذهب بعضهم إلى أنه عدل إلى المفرد: (رسول)لأن موسى وهارون على أمر واحد، لإتفاقهما على شريعة واحدة، فكأنهما رسول واحد[3].

ومن يتأمل سياق الآيتين الكريمتين يمكن أن يلمس سر آخر لهذا العدول من خلال التناغم الأسلوبي بين هذا التحول والسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، حيث يلحظ أنّ الحديث في سورة الشعراء لم يكن لسيدنا هارون عليه السلام فيه أثر كبير، بخلاف سياق الكلام في سورة طه الذي جاء طلب إشراكه في أمر الرسالة صراحة من سيدّنا موسى عليه السلام، وذلك في قوله: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه:29-32]، وجاءت الموافقة صراحة أيضا من الله تعالى في قوله ﴿ قَالَ قَدْ

([1]) الألوسي، المرجع السابق،317/5

([2]) ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 67/3

([3]) ينظر: المرجع نفسه،305/3.

أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه:36]، ولذلك جاءت الضمائر كلها بالتثنية في سورة طه بدءا من قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: 42-49] فالسياق كله قائم على المشاركة بين موسى وهارون عليهما السلام بخلاف سياق سورة الشعراء الذي ليس فيه شيء من ذلك.

ومن العدول عن المثنى إلى المفرد قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المومنون:50]

إذ أنّ موضع العدول في قوله:(ءاية)، حيث كان المتوقع من السياق أن يقال (آيتين)،وسبب العدول إلى المفرد أن شأن عيسى وأمه واحد، وكل منها صار آية بالآخر، كما أنّ الحديث هنا في قدرة الله تعالى في تكوبن عيسى عليه السلام من غير أب، وإنطاقه في المهد صبيا، وفي جعل أمّه آية، لأنها ولدت يمسسها بشر،فالآية لا تكون في إحداهما دون الآخر، ولهذا عدل إلى المفرد باعتبارهما آية واحدة[1].

ومما يدّل هذه المساواة والاشتراك في كونهما آية واحدة أنّ النص القرآني يقدّم عيسى عليه السلام في هذه الآية: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ وقدّم مريم في آية أخرى، هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 91] ، فدّل ذلك على أنّ كلاّ منهما –سبق- صار آية بالآخر، فناسب العدول عن المثنى إلى المفرد.

-العدول عن المفرد إلى الجمع:

و من صور العدول عن الفرد إلى الجمع ما نجده في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ

(1) ينظر: الألوسي، المرجع السابق، 238/9، ابن عاشور، المرجع السابق،76/18.

وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ [الطلاق:1]

إذ نجد في الآية الكريمة عدولا في الأفعال: (طلّقتم....وأحصوا .... واتّقوا.. لا تخرجوهن) التي جاءت بصيغة الجمع على الرغم من أنّ الخطاب في أول الآية قد تقدم بصيغة المفرد في قوله تعالى: (يأيها النبي)، فعدل عن خطاب المفرد إلى خطاب الجمع.

وعن سرّ تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب، ثم العدول إلى صيغة الجمع وجوه عدّة، (أحدهما: الاكتفاء بعلم المخاطبين بأن ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لهم، إذ كانوا مأمورين بالاقتداء به، إلاّ ما خصّ به دونهم، فخصّه بالذكر، ثم عدل بالخطاب إلى الجماعة، إذ كان خطابه خطابا للجماعة. والثاني : إنّ تقديره: يا أيها النبيّ قل لأمتك: إذا طلقتم النساء...، والثالث: مجيء العدول على العادة في خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الأتباع[1].

لأن في تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب أمة تشريفا له، وإظهارا لجلال قدره، ولأنه هو المبلغ للناس، وهو إمامهم، والمنفذ لأحكام الله فيهم « خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم ،كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهارا لتقدمه واعتبارا لترأسه وأنه مدرة قومه ولسانهم الذي يصدون عن رأيهم ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في الحكم كلهم وساد مسدّ جميعهم »[2].

وتوجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه أسلوب من أساليب التشريع المهتم بها، وأحكام الطلاق والعدة من الأمور التي تساهل فيها أهل الجاهلية، إذ لم يكونوا يقيمون للنساء وزنا.

وكأنّ نداء النبي صلى الله عليه وسلم أولا، ثم خطاب أمته ثانيا، وماتبع ذلك من قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ ﴾ ما يوحي بأهمية هذه الحقوق، والحرص على عدم الإضرار بالنساء، وغمط حقوقهن، فلذلك افتتحت هذه السورة بهذا الأسلوب، وخصّ النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التوجيه، لزيادة الاهتمام بما سيق الكلام لأجله.

([1]) الجصاص، أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1984 ، 346/5.

([2])الزمخشري، المرجع السابق، 4 /102

﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾ [الحجر: 67-68] بحيث عدل عن الجمع وجيء بصيغة المفرد في قوله ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي ﴾ وعبر عنه ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن باب اللفظ لفظ الواحد والمعنى على الجميع، وكذ أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن، و يقول القرطبي (والضيف)يقع للاثنين والجميع على لفظ الواحد لأنه في الأصل مصدر" وقال أبو السعود « الضيف مصدر ولذا إذا وصف به أطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث » [1].

ومنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [غافر67]، حيث إن موضع العدول في قوله (طفلا) جاء بلفظ المفرد، وكان المتوقع أن يأتي بلفظ الجمع (أطفالا)،ليتناسب مع ضمير الجمع في (يخرجكم).

ولقد تعدّدت آراء المفسرين في توجيه سرّ هذا العدول عن الجمع إلى المفرد، فمنهم من رأى أن الإفراد جاء للدلالة على الجنس[2].

ومنهم من ذهب إلى أنّ لفظ الطفل " اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل فيع على الواحد و الجمع"[3].

ولعلّ ابن جني كان أدّق تعبيرا حين يبيّن سرّ هذا العدول في هذه الآية الكريمة بقوله: « وحسن لفظ الواحد هنا،لأنه موضع تصغير لشأن الانسان وتحقير لأمره، فلاق به ذكر الواحد، لقلته عن الجماعة، ولأن معناه أيضا: تخرج كل واحد منكم طفلا، وقد ذكرنا نحو هذا، وهو مما سئل الناس عنه قالوا: وضع الواحد موضع الجماعة، اتساعا في اللغة، وأنسو حفظ المعنى، ومقابلة اللفظ به، لتقوى دلالته عليه، وتنظم بالشبه إليه » [4].

ونلخص إلى أن العدول إلى المفرد إنّما جاء للمواءمة بين ما في معنى الطفولة من تصغير الشأن وتقليله ومعنى القلة في صيغة الإفراد.

([1]) القرطبي ، المرجع السابق، 39/10

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 146/3.

([3]) القرطبي المرجع السابق، 15/12.

([4]) ابن جني، المرجع السابق، 358/1.

يعزّز هذا الرأي أنّ هذا المعنى جاء مطردا في القرآن الكريم، فلفظ الطفل ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع: ثلاثة منها جاءت مفردة مرادا بها الجمع، وهي قوله تعالى: ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور:31] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ ﴾ [الحج:5]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ [غافر:67]، وأما الموضع الرابع فقد ورد بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور 59]

ومن يتأمل الآيات الثلاث التي ورد فيها الطفل مفردا يدرك أنها جاءت في مقام التقليل من شأن الإنسان، وتصغير أمره،أمّا في الآية الأخيرة فآثر الجمع، لأن المقصود بها من تجاوز تلك المرحلة إلى مرحلة الكبر والفتوة. ويؤيد هذا المنزع صاحب كتاب الروض الأنف بقوله : «ألا ترى أن بدء الخلق من طين ث يكون الخلق علقا، وهو الدم، فيكون جنسا، ثم يخرجهم الله طفلا، أي جنسا تاليا للعلق والمني، لايكاد يتميز بعضهم من بعض، إلا عند آبائهم، فإذا كبروا وخالطوا الناس، وعرف الناس صورهم وبعضهم من بعض فصاروا كالرجال والفتيان قيل فيهم حينئذ: أطفال »[1] .

من هنا جاء قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم:4]، فالسر في اختيار كلمة "العظم" في هذا الموضع المبارك بصيغة المفرد، وليس بصيغة الجمع "العظام" يكمن في دلالة المفرد على الجنس، وأن هذا الجنس هو القوام، وأشد ما تركب منه الجسد، قد أصيب بالوهن، ولو جاءت تللك المفردة اللغوية بصيغة الجمع، لدلت على معنى آخر هو أن عظامه كلها قد أصيبت بالوهن، وليس مما هذا مايتطلبه الموقف كما هو واضح[2] .

تبعا لهذا صار إظهار أهمية الجنس في سياق الآية المذكورة هو ديدن الحدث الكلامي،لأن العظام" قد تصرف الذهن إلى إرادة معنى الشمول كما ألمعت آنفا[3]، وكذا يقال في إيثار المعنى التعبير القرآني لصيغة المفرد المتمثلة في كلمة " عيني" ضمن قوله تعالى:

([1]) أبو القاسم السهيلي، الروض الآنف في شرح السيرة النبوية،تح: عمر عبد السلام السلامي،دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000، 60/7.

([2]) الزمخشري، المرجع السابق، 405/2.

([3]) يوسف عبد الحميد الهندواي، المرجع السابق، 113.

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه:39] إذ أن صيغة (العيون) تسبب في فقدان الدلالة المرجوة التي يحتاجها المقام.

-العدول إلى صيغة الجمع:

لقد آثر القرآن الكريم في لفظة (أعيننا) حينما تعلق الأمر بتسلية فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيه إزاء ماكان يتعرض له من أذى المشركين، فيقول: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ ﴾ [الطور:48]

كما نلحظ تفضيل صيغة الجمع على المفرد في اللفظة نفسها ضمن خطاب الله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام في سياق التثبيت أيضا حين نقرأ قول الله تعالى ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:37]. والعلة الدلالية في الموضعين عائدة إلى العلاقة الوثقى بين ما يوجبه الجمع من القوة والكثرة والمساندة، وبين اتساق تلك المعونة الإلهية مع حاجة هذين النبيين(عليهما السلام).

-العدول عن التثنية إلى الجمع:

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات9-10]

وموضع العدول: في قوله تعالى(اقتتلو) بلفظ الجمع، حيث عدل عن التثنية في قوله: (طائفتان)، وكان المتوقع من ظاهر السياق أن يقال: اقتتلتا. ولعلّ سرّ العدول في ذلك أن لفظة (طائفة) وإن كان مفردا في بنيته الصرفية فإنه بمعناه يدّل على الجمع، فروعي فيه المعنى، وإلى هذا التوجيه أشار الزمخشري بقوله: « فإن قلت: ما وجه قوله اقْتَتَلُوا والقياس اقتتلتا ، كما قرأ ابن أبي عبلة. أو اقتتلا، كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين؟ قلت: هو مما حمل على المعنى دون اللفظ، لأنّ الطائفتين في معنى القوم والناس »[1] .

([1]) الزمخشري، المرجع السابق ، 364/4.

بدأت الآية بصيغة المثنى "طائفتان" ومفردها طائفة،مفردا أبدا ومعناها الجمع أبدا،وجسدت صيغة التثنية ملامح الوحدة في كل طائفة،فهما طرفان متباعدان مستقلان ،ولما بدأ القتال انتقلت الصياغة إلى صيغة الجمع"اقتتلوا" لتصوير سرعة التفكك والانتشار في ساحات القتال وانتشر الجمع هناك وهناك ولم تبقى العداوة كما كانت عداوة طائفة لطائفة ،بل عداوة فرد لفرد،وعندما هدأ القتال ومال الطرفان إلى الصلح عادت الصياغة إلى صيغة المثنى "بينهما" لتعبر عن عودة التماسك والالتحام إلى كل طائفة ،لأن الصلح لايكون بين أفراد الطائفتين كالقتال وإنما يكون الطائفتين أنفسها متمثلتين في وفد من أهل الثقة [1]، فعند القتال ينقسم الصف الواحد وتتداخل الطائفتان، إذ إن كل فرد يقاتل آخر.

ولهذا تناسب العدول إلى الجمع باعتبار هذا المعنى وهو ما أشار إليه الفخر الرازي حين قال: « قال: اقتتلوا ولم يقل اقتتلا، وقال: فأصلحوا بينهما ولم يقل بينهم، ذلك لأن عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة، وكل أحد برأسه يكون فاعلا فعلا، فقال: اقتتلوا وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، وإلا لم يكن يتحقق الصلح فقال: بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين »[2].

-العدول عن التثنية إلى الجمع:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:87]

وموضع العدول: في قوله "وجعلوا ،وأقيموا"بلفظ الجمع ،وكان السياق المتوقع أن يقال (واجعلا، وأقيما)بصيغة التثنية كي يتناسب مع ما تقدم من خطاب (موسى وأخيه)ولكنه عدل إلى الجمع.

ولعل السر في هذا العدول أنهما متبوعان في ذلك وهما اللذان يقرران قواعد النبوة ويحكمان في الشريعة بين الناس وذلك واجب على الجميع لا يختص به الأنبياء من دون الناس ،ثم خص موسى بالذكر بعدها بالبشارة تعظيما لهما وللمبشر بها،قال الزمخشري : «

(1)انظر،أسامةالبحيري، المرجع السابق،ص378

(2) الرازي، المرجع السابق ،28/ 105

فإن قلت : كيف نوّع في الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحدّ آخرا؟قلت خوطب موسى وهارون عليهما أن يتبوءا لقومهما بيوتا للعبادة، وذلك ممّا يفوض إلى الأنبياء ،ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ،ثم خصّ موسى عليه السلام تعظيما لهما وللمبشر بها".[1]

([1])الزمخشري، المرجع السابق، 2/364

المبحث الثاني : العدول الفعلي:

1- العدول في زمن الأفعال:

أ-العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي:

إن الفعل الماضي إذا استعمل محل الفعل المضارع الذي لم يوجد بعد ،كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد،لأن يدل على الحدث التام ووقع وانقضى ،وبالتالي يدل على القطع أوالتأكيد أوالتثبيت.[1]

يرد هذا النوع من العدول في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ولاسيما عند الحديث المشاهد المستقبلية المتعددة في يوم القيامة، حيث تأتي الصياغة اللغوية-غالبا- مستخدمة بنية الأفعال الماضية تفيد حتمية وقوعها،لأنّ صانعها خالق مقتدر، لا تحدّ قدرته المطلقة أزمنة ولا أمكنة، وما أخبر عن حدوثه لا بدّ أن يقع، يقول المرادي: " الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار متيقنة، عبّر عنها بلفظ الماضي"[2]

ومن السياقات التي يرد فيها هذا اللون من العدول للدلالة على تحقق الفعل وسرعة حدوثه، قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: 87].

لقد عدل السياق عن المضارع " ينفخ" إلى الماضي " ففزع"، وكان مقتضى السياق أن يجري على نسق واحد فيكون " فيفزع"، لأنّ الحديث عن المستقبل البعيد وهو يوم القيامة، فدّل العدول إلى الماضي على القطع والتأكيد بوقوع الحدث وحصوله، وأنّه كائن لا محالة[3]، وصدّر الفعل بحرف(الفاء) ليدّل على سرعة الفزع، لما في ذلك من التهديد والتخويف.

([1])انظر ،عبد العزيز عتيق،المرجع السابق ،ص152 ،وأسامة البحيري،المرجع السابق،ص371

([2]) المرادي حسن بن قاسم بن عبد الله، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: طه محسن، دار الكتاب، الموصل، ط1، 1976،ص212.

([3]) ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 391/3. والزركشي، المرجع السابق، 337/3.

ويبدو لنا من هذا المثال أنّ هذا النوع من العدول يأتي –غالبا- للإخبار عن نتائج محققة لأحداث سابقة لها تحمل طابع الدهشة والمفاجأة، وهذا ما نلمسه في حديث ابن الأثير عن التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل، إذ يقول:" و إنّما يفعل ذلك- أي الانتقال من المستقبل (المضارع) إلى الماضي – إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"[1]، فالنفخ في الصور حدث مدهش ومفاجئ يترتب عليه فزع من في السماوات و الأرض، وقد ساعدت بنية العدول في تعميق الوعي بهذا المصير المستقبلي العظيم، ومن ذلك من خلال الابتداء بصيغة المضارع التي تفيد استحضار صورة الحدث من المستقبل البعيد- وهو يوم القيامة- وإعطاء المتلقين فرصة استجلائها والتمعن في تفاصيليها، حتّى لكأنها ماثلة أمام الأنظار، ثم الماضي لتثبيت اليقين القطعي وحدوث ذلك اليوم المشهود.

ويرد هذا اللون من العدول في وصف يوم القيامة نداء أصحاب الجنّة لأصحاب النار قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [44-45]

فأصحاب الجنة فرحون مبتهجون بالنعيم الذي وجدوه، قال أبو حيان:" وعبّر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه، هذا النداء تقريع وتوبيخ وتوقيف على مآل الفريقين، وزيادة في كرب أهل النار بأن شرفوا عليهم"[2]، فقد أسهمت قوة صيغة التعبير بالفعل في جعل التصور كاملا لما في المستقبل، وكأنه ماض وقع وتذكر أحداثه، فلا نملك إلا الإقرار والتصديق، لأنّه إخبار من الخالق العظيم ،ثم يعدل السياق مرة أخرى إلى المضارع في قوله

ومن العدول في الفعل الماضي الأمثال القرآن الكريم بالذكر من بين مزايا لأجل لفت بصائرهم للتدبر في ناحية عظيمة من نواحي إعجازه وهي بلاغة أمثاله، فإن بلغاءهم كانوا يتنافسون في جودة الأمثال وإصابتها[3]، ولكون الأمثال مستهلة بالفعل (ضرب) فهي أدخل في تمكين معنى المثل، وأبقى لأثره في النفس، لأن المعنى العام للضرب إيقاع الشيء على شيء، قال الراغب: « المضرب إيقاع شيء على شيء... وضرب المثل هو ضرب الدارهم، وهو ذكر

(1) ابن الأثير، المرجع السابق، 18/2.

(2) أبو حيان التوحيدي، المرجع السابق، 55/5.

(3) ابن عاشور، المرجع السابق،397/23.

شيء وأثره يظهر في غيره »[1]، والأمثال المستعملة بلفظ "ضرب" خبرها مفيد لمعنى إنشائها وقت الإخبار بها، فدلالة الماضي فيها على الحال، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[الزمر: 29]. قال ابن عاشور عن التعبير بالضرب في المثل: » ومجيء فعل (ضرب)

بصيغة الماضي مع أن ضرب هذا المثل ما حصل إلا في زمن نزول هذه الآية لتقريب زمن الحال من زمن الماضي لتفيد التشويق إلى علم هذا المثل فحصل كالإخبار عن أمر حصل، لأنّ النفوس أرغب في علمه »[2].

ومن لطائف الفعل الماضي في دلالته على الإستمرار عدم الإنقطاع الطارئ، فكأنّ خلو الفعل من الدلالة أمر يستلزم الدلالة على الضد، كما قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحديد:1] قال ابن عاشور في هذا المقام: «وصيغ فعل التسبيح بصيغة الماضي للدلالة على أنّ تنزيهه أمر مقرر، أمر الله بع عباده من قبل وألهمه الناس، وأودع دلائله في أحوال ما لا اختيار له «[3]، فأمر التسبيح التبست به النفوس، واستمر بأمر الله عز وجل.

ولقد بشر القرآن المؤمنين بجنة النعيم، وأنذر الكافرين بنار جحيم في مدار التعبير عن المستقبل بالماضي تحققا للوقوع، فأصبح محتمل الوقوع واقعا، والبعيد قريبا، والمتخيل حقيقة، والمستحيل ممكنا.

وإخبار القرآن عن المستقبل بالماضي من أقوى أساليب التوكيد، ولا يصدر هذا التوكيد إلا عن صاحب القدرة الذي لا يتطرق إلى خبره الاحتمال في الوقوع. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا

([1]) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداوي، دار القلم، بيروت، ط1، دت، ص 294.

([2]) ابن عاشور، المرجع السابق، 23/ 401.

([3])،المرجع نفسه، 357/27.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر: 67-75].

أخبرت الآيات عن أحداث يوم القيامة وأحواله بصيغة الفعل (ونفخ، فصعق، ثم نفخ ،وأشرقت، ووضع، وجيء، وقضي، ووفيت، وسيق، وقالوا، وقضي) فكانت أحداثا دلالتها محققة الوقوع، لا ريب في ذلك،لأنّ الله عزوجل- هو المخبر بها. قال الألوسي في تفسيره للآية « التعبير بالماضي لتحقق الوقوع وبنى الفعل للمفعول لعدم تعلق الغرض بالفاعل بل الغرض إفادة هذا الفعل من أي فاعل كان، فكأنه قيل: ووقع النفخ في الصور، فصعق من في السموات، ومن في الأرض، أي ماتوا بسبب ذلك »[1].

والمستفاد من نص الألوسي أمران، الأول: أنّ صرف اهتمام السامع إلى الفعل في ذاته من الأهمية، بحيث لو ذكر الفاعل لأشغل جزءا من اهتمامه.

الثاني: أنّ بناءها للمفعول يجعل الأمر بد الله- عزوجل- وحده وبإرادته، وفي هذا قصر إلى أن القيامة و أحوالها، إنّما هي من أمر الله وحده، لا شريك له فيها قال الله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 4]. فتبقى النفوس متعلقة بالخالق العليم.

ب- العدول عن الماضي إلى المضارع:

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:87]. ففي هذا السياق حصل عدول عن الفعل الماضي "كذبتم" إلى الفعل المضارع " تقتلون"، وكان مقتضى السياق بموجب المطابقة الزمنية بين الأفعال أن " يكون فريقا كذّبتم وفريقا قتلتم"، لا سيما أنه يتحدّث عن أمر حدث في الزمن الماضي، يتمثل في تكذيب اليهود للأنبياء وقتلهم إيّاهم، لكنّ السياق عدل عن الماضي إلى المضارع،

[1] الألوسي، المرجع السابق، 28/12.

لأنّ قتل الأنبياء أمر فضيع، فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب[1]، يضاف إلى ذلك أنّ صيغة المضارع تفيد الاستمرارية، فاستخدم التص القرآني (تقتلون) للدلالة على الاستمرارية في القتل.

وإذا كان العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع يأتي – في النص القرآني- للدلالة على حدث مضى وانقضى، وعليه فإن مجيء المضارع للدلالة على الحال والاستقبال يفيد التجدد والاستمرار، والتركيز على نتيجة الحدث[2]، نحو قول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحج:63].

فقد عدل السياق عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع "أنزل تصبح"، وهذا العدول يفسره ما بين هاتين الصيغتين من فاق في أداء المعنى أو الدلالة على الحدث، إذ إنّ المعنى مع أولاهما هو أمر مقطوع بحدوثه، أمّا مع الثانية فهو أمر آني يتجدد حدوثه بتجدد الزمن، ومن ثم فإنّ هذه الصيغة الأخيرة تتفرد دون الأولى بالقدرة على إثارة المعنى واستحضار صورته لدى السامع حتى كأنه يشاهدها.

وهكذا عملت بنية العدول في تحركها من الصيغة الماضي (أنزل) إلى صيغة (فتصبح) على السياقي على التركيز على نتيجة الفعل المتمثلة في الصورة الأرض التي تزهو الخضرة والنضارة، فتشيع البهجة في النفوس، وتطمئن الناس على دوام أرزاقهم، ولهذا جاء تذليل الآية بالصفة الكريمة بصفتين من صفات الرحمة بقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبِير) أي اللطيف بعباده الخبير بمصالح الخلق ومنافعهم.

ج- العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الأمر:

يمثل الفعل الماضي في هذه الحالة " جملة خبرية"، في حين يمثل فعل الأمر " جملة إنشائية" والعدول عن الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي يهدف إلى " تحقيق أغراض بلاغية تتوزع على الوظيفة الانفعالية (للمتكلم)، والوظيفة الإفهامية (المتلقي) كدلالة الرضا بالواقع الصياغي حتى كأنه مطلوب تحقيقه في الواقع الفعلي"[3]، ومن ذلك قول اله

(1) ينظر: الزمخشري المرجع السابق، 188/1.

(2) ابن الأثير، المرجع السابق،16/2.

(3) أسامة البحيري، المرجع السابق ، ص 123.

تعال: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: 29].

ففي هذه الآية الكريمة عدل السياق عن صيغة الماضي (أمر) إلى صغة الأمر (وأقيموا) «ولو جاء السياق على أسوب واحد لقال: (أمر ربي بالقسط، وأمركم أن تقيموا وجوهكم) »[1]، ولكنه لم يأت على هذا النحو للدلالة على أمرين:

الأول: أنّ الفعل الماضي في " أمر ربي بالقسط" يدل على تحقق العدل وحصوله، وقد استخدم ليحسم هذا الأمر ويفيد بأنه مبدأ موغل في القدم، قام به ميزان السموات والأرض، ولذلك أسند الفعل إلى الخالق الله سبحانه (ربي) ليعمق الإحساس بالقدم و التمام، لأن الأمر صدر عن الباقي الوارث[2].

الثاني: أن المعنى المعبر عنه – وهو إقامة الصلاة- معنى مهم يجب على المتلقي أن يلتفت إليه، ولذلك حدث عدول عن مقتضى الظاهر وهو استمرار بنية الماضي الدالة على تمام الفعل وانقطاعه (أمر) إلى خلاف مقتضى الظاهر وهو بنية الأمر (و أقيموا) الدالة على طلب الفعل على سبيل الوجوب، التي تحمل في طياتها الزمن الحاضر والمستقبل، وقد أفاد العدول إلى صيغة الأمر الموجه إلى المتلقين « العناية بتوكيده في نفوسهم، فإنّ الصلاة من أوكد فرائض »[3].

«وفي هذا السياق تؤول المفارقة الزمنية بين صيغة الماضي، وصيغة الأمر على المستوى السطحي للتشكيل الصياغي،إلى توافق عميق في مستوى البنية العميقة، وذلك عن طريق الاستمرار الزمني الذي يحل محل الصدام و الاختلاف، إذا تتحول المحافظة على تنفيذ الأمر (بالصلاة) في الحاضر والمستقبل إلى التمسك بإقرار مبدأ العدل سواء في التعامل مع المنعم الأعلى، بين العبد وربّه، أو في التعامل مع الناس، لأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر"[4]

([1]) العلوي، الطراز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 2002، 137/2.

([2]) أسامة البحيري، المرجع السابق، ص 324.

([3]) ينظر: ابن الأثير، المرجع السابق، 14/2، وينظر: أبو موسى، خصائص التركيب، ص 263.

([4]) أحمد غالب الخرشة، الانزياح في القرآن الكريم، الأكاديمون، الأردن، ط1، 2014، ص186.

د- العدول من المضارع إلى الأمر:

ومثاله قوله تعالى حكاية عن هود- عليه السلام- وقومه: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۖ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [هود: 53-54]

فلقد تضمن هذا السياق عدولا عن صيغة المضارع " أشهد الله" إلى صيغة الأمر "واشهدوا" وذلك لإبراز البون الشاسع بين الإشهادين، فإشهاده الله إشهاد صحيح وحقيقي، وإشهاده إياهم ليس إشهادا حقيقيا، وإنما هو على سبيل السخرية بهم والتحدي لإرادتهم، هذا ما يقرره الزمخشري إذ يقول في توجيه هذا العدول: «إشهاد الله براءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى التوحيد، و أمّا إشهادهم فما إلاّ تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لإختلاف ما بينهما، وجيئ به على لفظ الأمر بالشهادة.... تهكما واستهانة »[1] وذكر أيضا البيضاوي أن إشهادهم على هود عليه السلام ما هو إلا استهانة بهم إذ قال أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم ....وأمرهم بأن يشهدوا عليه.

2- العدول في تركيب الأفعال (المجردة والمزيدة)

ومثلما يحدث العدول في الأبنية الاسمية فإنه يحدث أيضا في الأبنية الفعلية، ومثال ذلك ما جاء في قوله عزوجل ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التحريم:3] فنحن نرى في نسق الآية الكريمة عدولين: أولهما "نبأ" "أنبأ" والثاني "أنبأ" "نبأ" أي أن صيغة "نبأ" تؤدي وظيفة المنزاح عنه في الموضع الأول، والمنزاح إليه في الموضع الثاني، فما سر العدول عنها؟.

لعل السر في هذا العدول يعود إلى أن صيغة "فعّل" بالتشديد، تتميز دون صيغة "أفعل" بإفادة معنى المبالغة و التأكيد، وهذا ما يقرره الراغب الأصفهاني إذ يرى أن "نبأته" أبلغ من "أنبأته" مستدلا على ذلك بالآية الكريمة فلمّا نبّأهابه،قالت: من أنبأك هذا؟ قال:

([1]) الزمخشري، المرجع السابق، 382/2

نبّأني العليم الخبير)، إذ لم يقل عزّوجل على لسان – نبيه –عليه السلام- أنبأني، بل عدل إلى"نبّأ" الذي هو أبلغ تنبيها على تحقيقه وكونه من قبل الله[1]، ويلاحظ أنّ الراغب في استدلاله بالآية الكريمة لم يشر إلا إلى العدول الثاني "أنبأ" "نبأ"، مع أن الفارق الذي أشار إليه بين الصيغتين هو سر العدول الأول "نبأ" "أنبأ".

ونستطيع القول إنّ صيغة "نبأ" تعني الخبر اليقين الذي لا شك فيه، أمّا صيغة "أنبأ" فتعنى غلبة الظن و الشك، وهذا ما يوحي به العدول الأول في الآية: "فلمّا" نبأها ... قالت من أنبأك " فالصيغة الأولى تدل على علمه اليقيني، إذ إنّ ما ينبئ به الرسول صلى الله عليه وسلم هو لا يقين لا ك فيه، أما الصيغة الثانية فإنها تدل على الظن و الشك، لأن السائلة وهي حفصة زوج الرسول كان يغلب على ظنها أن الوحي الذي نبأ الرسول عليه الصلاة والسلام ، بإفشائها سره، ولكنها لم تجزم بذلك لأنه خطر ببالها أنه قد تكون عائشة هي التي أفشت للرسول سر ما أخبرتها هي به، ولهذا جاء ردها بصيغة السؤال: من أنبأك هذا؟ لأن السؤال ينطوي على ظن وعدم تثبت، ولكن عندما أجابها الرسول الكريم انزاح عن " أنبأ" إلى "نبّأ" تنبيها لها إلى أنه يخبر خبرا يقينا لا شك فيه، فقال: " نبّأني العليم الخبير".

ومن مواطن هذا العدول قوله تعالى في سياق تذكير بني إسرائيل بنعمه عليهم: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:49-50]

فنجد في هذا السياق أنه بدأ بصيغة " فعل" : نجّيناكم، ثم انزاح عنها إلى صيغة "أفعل" : أنجيناكم فلماذا غاير النص القرآني بين صيغتي الفعل : "نجى" و "أنجى" على الرغم من أنهما يؤديان المعنى نفسه، وهو تخليص الانسان مما يتهدده من أخطار.

يبدو لنا أن لكل صيغة من الصغتين السابقتين خصوصيتها في تأدية هذا المعنى، فالصيغة الأولى تنفرد دون الثانية بالدلالة على تكثير المعنى وتأكيده والمبالغة في إثباته، وهذا ما يؤكده ياق الآية الكريمة إذ إننا نلحظ أن التخليص المشار إليه بفعل التنجية "

(1) ينظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة نبّأ، 1/788-789

نجى" في الآية الأولى كان من شرور فرعون التي تعددت فشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيفا، وفي أبنائهم تذبيحا، وفي نسائهم استحياء[1]، أما التخليص بالفعل " أنجى" في الآية الثانية فقد كان من خطر واحد فقط، هو الغرق الذي كانت به نهاية هؤلاء الظالمين، أي كثرة اشرور استخدام صيغة " فعّل" التي تدل على التكثير والمبالغة في تأكيد النجاة،في حين أن الشر الواحد ناسبه صيغة " أفعل" التي تدل على الإخبار عن النجاة فقط، دون إفادة المبالغة والتأكيد.

في قوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ [الكهف 94-99]،فقد جاءت هذه الآيات في سياق الوصف القرآني للسد الذي أقامه ذو القرنين لقوم استغاثوا به من ظلم " يأجوج ومأجوج"، ذلك السد الذي كان على قدر هائل من العلو بحيث عجز هؤلاء عن تسوره، ومن الصلابة والسماكة بحيث عجزوا عن يفتحوا فيه ثغرة ينفذون من خلالها، وذلك في قوله سبحانه (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)، فقد استخدمت هذه الآية صيغة الفعل الماضي "اسطاعوا" بحذف التاء، ثم عدلت عنها إلى صيغة "استطاعوا" بإثبات التاء، فما الحكمة من هذا العدول؟.

لقد عني المفسرون القدامى والدارسون المعاصرون بالإبانة عن دلالة هذا العدول، ورأوا أنّ السر فيه يرجع إلى الأمور الآتية:

الأول: أن الظهور والصعود على جدار السد هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقبه وأخف عملا، ولذلك حذفت التاء وخفّف الفعل، ليتناسق ذلك مع خفة تسلق السد، فقال: ﴿ مَّا فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾ في حين أنّ نقب جدا السد يحتاج إلى جهد وكدّ، ويتحمل الإنسان في ذلك كثيرا كثيرا من المشقة والجهد،ويستخدم أدوات مادية ثقيلة للقيام بهذا العمل، ولذلك طوّل الفعل- بإثبات التاء- ليتناسق مع العمل الثقيل الطويل، فقال: ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ إذن حذف التاء من الفعل " اسطاعوا" للتخفيف

([1]) ينظر: أسامة البحيري، المرجع السابق، ص 305.

المتناسق، تخفيف حروف الفعل وتخفيف تسلق الجدار، وإثبات التاء في الفعل"استطاعوا" للتثقيل المتناسق، تثقيل حروف الفعل بتثقيل نقب ونقض الجدار[1]، و في هذا إشارة واضحة إلى تفاعل النص القرآني مع الواقع واختلاف الصيغة باختلاف طبيعة الواقع الخارجي، فكل لفظة في النص القرآني تقع في السياق المناسب لها.

الثاني:أن صيغة "استطاعو" فقد جاء مكان مفعولها " أن والفعل، والفاعل والمفعول به" وهي أربعة أشيا فثقل متعلقها وعندئذ جاز تخفيف لفظها، وبهذا احتمل المتعلق الخفيف أن يثقل معه اللفظ باكتمال حروفه، واحتمل المتعلق الثقيل أن يخفف معه اللفظ بحذف أحد حروفه، وبذلك يكون توازن بين الصياغتين: الثقيل مع الخفيف، والخفيف مع الثقيل[2] ، وقداختير للحذف حرف التاء، لأن في الكلمة حرفا يغني عنه وهو الطاء لإقتراب مخرجيهما.

الثالث: أن الصغتين "اسطاعوا" و "استطاعوا" بمعنى واحد، وأن حذف تاء الإفتعال أولاهما إنما هو للتخفيف، لأن التاء قريبة المخرج من الطاء[3].

الرابع: أن ورود الصيغتين متقاربتين سهل أن تكتمل إحداهما وتنقص الأخرى فالتقارب يجعل الصيغة الناقصة بينة كالكاملة، وقد سهل التقارب أن يقع النقص في الأولى في الثانية، ولولا ذلك لكان الأولى أن يقع النقص في الثانية لا في الأولى، لأن دلالة على الثانية أقوى- عند التباعد بين الصيغتين- من دلالة الثانية على الأولى، إذ لا يصح أن يظل القارئ يعاني من إبهام المعنى- زمنا- حتى ترد الصيغة الثانية التي تزيل الابهام[4].

الخامس: أن الصيغتين وإن تواردتا على معنى واحد، فإنّ لكل منهما ظلالها وإيحاءاتها الخاصة في أداء المعنى، وهذا هو سر إيثار كل منهما في موقعها في نسق الآية الكريمة، فكل مهما في سياق النفي تعني العجز، غير أن العجز في "ما استطاعوا" هو العجز عن الشيء بعد التعلق به، وتكلف محاولته، وبذل الجهد في سبيل تحقيقه، أما العجز في "ما اسطاعوا" فهو

([1]) أحمد بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، دار النهضة العربية بيروت، 1985، 655/2.

([2]) انظر، محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، رواية الأمام دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002، ص200.

([3]) انظر، الزمخشري، المرجع السابق، 698/2، والرازي، المرجع السابق، 173/21.

([4]) انظر: القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن،دار البشير، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996، ص 100.

العجز الذي يقتل في النفس بواعث الأمل والحصول على الشيء المراد، ويصرفها كلية عن التعلق به، أو بذل أي جهد في سبيل تحقيقه[1].

والرأي الأخير-فيما نرى- هوأرجح هذه الآراء لأن استخدام صيغة " ما اسطاعوا" في الآية الكريمة إلى جانب " يظهروه" يوحي بأن السد الذي أقامه ذو القرنين كان على درجة كبيرة من الملاسة والارتفاع أحس إزهاءها أهل أجوج ومأجوج باليأس والعجز، وتقيّنوا منذ البداية من فقدانهم لوسائل الصعود عليه، فلم يحاولوا ذلك، وبالتالي فإن في العدول عن هذه الصيغة إلى الصيغة الأخرى " ما استطاعوا" إلى جانب " نقبا" ما يشعر بأنهم قد حاولوا فعلا إحداث هذا النقب بكل ما أتوه من قوة، وما تهيأ لهم –آنذاك- من وسائل، غير أنّ محاولاتهم في النهاية قد ذهبت أدراج الرياح أمام متانة هذا السد وصلابته.

3- العدول عن بناء الفعل للمعلوم إلى بنائه للمجهول والعكس

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج 42-44]

و جرى السياق- في أغلبه- على ذكر الفاعل وبناء الفعل للمعلوم "كَذَّبَتْ قبلهم قوم نوح....وقوم إبراهيم وقوم لوط...." ثم عدل إلى حذفه وبناء الفعل للمجهول، فقال: " وكُذِّبَ موسى"، ولم يقل: " وكَذَّبَ قوم موسى"، فلماذا عدل عن صيغة الفعل " كَذَّبَ" من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول في السياق نفسه؟

لقد أجاب الزمخشري عن هذا السؤال بقوله:" فإن قلتك لم قيل " وكُذِّبَ موسى" ولم يقل: قول موسى؟ قلت: لأن موسى ما كَذَّبَه قومه بنو إسرائيل، وإنّما كَذَّبه غير قومه وهم القبط، وفيه شيء آخر، كأنّه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكُذِّبَ موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته، فما ظنك بغيره"[2]، وتابع الزمخشري في هذا الرأي ابن عاشور دون زيادة تُذكر[3].

([1]) ينظر:حسين طبل، المرجع السابق، ص 77-76.

([2])الزمخشري، المرجع السابق، 162/3.

([3]) ينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، 204/17.

وفي ضوء ما ذكره الزمخشري نستطيع القول- والله أعلم بمراده- إنّ العدول عن البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول في السياق جاء للدلالة على المبالغة في التكذيب لموسى- عليه السلام- مع ظهور معجزاته الباهرة، وآياته الظاهرة، فهو أكثر الرسل السابقين معجزات وآيات، ومع ذلك كُذِّبَ، وفي هذا مزيد إيناس للرسول –صّلى الله عليه وسلم- وتسلية له،فهو ليس وحيدا في التكذيب، فقد كذّب الرسلَ قبله أقوامُهم، وكذّب موسى القبطُ، فلا عجب إذن تكذيب قومه له، فإنّ تلك عادة أمثالهم.

ومن نماذج هذا العدول أيضا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود-105-108]

فقد عدل السياق الكريم عن الفعل المبني للمعلوم " شَقُوا" إلى الفعل المبني للمجهول" سُعِدُوا"، ولو جرى السياق على نسقه العام لكان " أمّا الذين شقوا... وأما الذ سَعِدُوا ....)، والذي يظهر –والله أعلم- أن السياق الكريم آثر استخدام الفعل المبني للمعلوم عند ذكر أهل النار، [1]ثم انتقل إلى الفعل المبني للمجهول عند ذكر أهل الجنة لنكتة لطيفة وهي الدلالة على أنّ شقاء أهل النار ناتج عن أفعالهم وأعماله في الحياة الدنيا،في حين أنّ سعادة أهل الجنة هي من إسعاد الله لهم، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ دخول أهل النار النار بمحض عدل اللة تعالى، ودخول أهل الجنة الجنة بمحض تفضّله ورحمته.

وقد يرد العدول على العكس من هذا، إذ عدل التعبير القرآني عن الفعل المبني للمجهول إلى الفعل المبني للمعلوم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان 15-- 19] ففي هذا السياق نجد أنّ الفعل "طاف" ورد ابتداءً مبنيا للمجهول في قوله:" ويُطاف عليهم بآنية من فضة.." ، ثم انزاح عن ذلك إلى البناء للمعلوم

([1]) ينظر: أحمد غالب الخرشة، المرجع السابق، ص280.

وذكر الفاعل، بقوله:(ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون"، فلماذا وردت صيغة المبني للمجهول إلى جانب صيغة المبني للمعلوم ولم يكتفِ بصيغة واحدةٍ واحدةٍ منهما؟.

ويمكننا فهم سر هذا العدول من تعليق الكرماني (505ه) على ذلك إذ يقول: « ويُطاف عليهم" وبعده " يَطوف عليهم"، إنّما ذكر الأول بلفظ المجهول، لأنّ المجهول، لأنّ المقصود ما يُطاف به لا الطائفون، ولهذا قال:(بآنية من فضة) ثمّ ذكر الطائفين، فقال:" ويطوف عليهم ولدان »[1].

فالذي نفهمه من كلام الكرماني أنّ السياق في الآية الأولى ناسبه حذف الفاعل واستخدام الفعل المبني للمجهول، لأنّه – أي السياق- يركز على المطوف به على الطائفين، وعلى النعم التي يتمتع بها المؤمن ف الجنّة، فالمهم في السياق هو ذكر النعم التي يطاف بها، فلذلك أسهب في وصف آنية الفضة والأكواب القوارير التي كانوا يشربون بها لأنّها منةجملة النعم، وكذلك في الآية التالية لها ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ فحذف الفاعل واستخدم الفعل المبني للمجهول أيضا، لأن الفاعل ليس هو المهم في السياق، إنّما المهم هو الشراب الذي يسقونه لا الساقي لهم، فلذلك ذكر الكأس التي يسقون بها، وأنهم يسقون شرابا ممزوجا بالزنجبيل من عين تسمى سلسبيلا، ولكنه بعد ذلك عدل عن البناء المبني للمجهول إلى البناء للمعلوم وذكر الفاعل في قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ لأن التركيز والاهتمام في هذا السياق منصب على الفاعل نفسه، وهم والولدان المخلدون، الذين يقومون بخدمة المؤمنين ويقدّمون لهم ما يقدّمون لهم من ألوان النعم التي ذكرت من قبل " وهكذا في كل مرّة أتى فيها الفعل مبنيا للمجهول، كان ذلك لأن الفاعل لم يكن مهما، إنما المهم الشيء المطوف به، أمما عندما أتى مبنيا للمعلوم، فقد كان الفاعل هو المهم تبعا للسياق أو كان مهما كالمفعول به"[2].

ومما يلفت الانتباه في هذا السياق أنّه قدّم المبني للمجهول على المبني للمعلوم " ويُطاف..... يطوف" والمعهود في الاستعمال اللغوي أن يأتي المبني للمعلوم قبل المبني للمجهول عندما تكون مادة الفعل واحدة في المرتين، والفاعل واحدا لأنّ ذكر الفاعل في المرة الأولى

) الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق ودراسة وتعليق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ([1]ط1، 1986، ص 192.

([2]) القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد، ص102.

يغني عن ذكره في المرة الثانية فيسوغ أن يأتي مبنيا للمجهول في المرة الثانية، بيد أنّ الذي ورد في هذا السياق عكس ذلك، فقد سبق المبني للمجهول المبني للمعلوم فلماذا؟.

"والسرّ في هذا- والله أعلم- أنّ السياق الأول "يُطاف عليهم بآنية" كان المقصود منه التركيز على النعم التي تُقدّم لأهل الجنة،ولهذا وصف أوانيهم و أكوابهم وشرابهم، وعندما انتهى من تعداد هذه النعم ووصفها كان لائقا التعقيب بذكر الخدم والحشم الذين يقومون بتقديم هذه النعم، فقال:" ويطوف عليهم ولدان مخلدون"، فذكرُ النعم سابق لذكر الخدم، وهم تبع له وليسوا أصلا له، لأنّ من طبيعة الاشياء ألا يكون للمرء خدم وحشم إلاّإذا كان صاحب نعمة، ولهذا قدّم المبني للمجهول – في سياق حديثة عن النعم – على المبني للمعلوم في سياق حديثه عن الخدم- لأنّ هؤلاء يأتون بسبب تلك وليس العكس[1]، ثم في ذلك –أيضا- شدّ لانتباه المتلقي عند تقديم الفعل المبني للمجهول "ويطاف عليهم بآنية من فضة...." إذ يظل التساؤل واردا مفاده هذا وصف المطوف به، فمن الطائفون وما وصفهم؟ فيأتي بعد ذلك تبعا، وهذه من لطائف النص القرآني.

4- العدول عن الاسم إلى الفعل والعكس:

نلاحظ في النص القرآني كثرة مجيء العدول عن الاسم إلى الفعل والعكس ويقتضي حسن المشاكة والمطابقة في السياق اللغوي أن يُعطَف الفعل على الفعل، والاسم على الاسم، العدول عن ذلك بالمخالفة بين الاسم والفعل له بعد دلالي يُدرك من معرفة الفرق الدلالي بين الاسم و الفعل، وقد تقرّر عند علماء اللغة والبلاغة أن " الفعل يدّل على التجدد والحدوث، والاسم على الاستقرار والثبوت، ولايحسن وضع أحدهما موضع الآخر"[2]، وسبب ذلك أن الفعل مقيد بالزمن، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل و أعم.

وهذا الفرق الدلالي بين الاسم والفعل يهدينا إلى ممعرفة سر العدول عن الاسم إلى الفعل أو العكس في النص القرآني، فهوعدول يقتضيه سياق الحال ويكشف عن دلالات بلاغية مقصودة تمثل مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني، وهو يرد بكثرة في السياقات

([1])القيسي، المرجع السابق، ص 102.

([2]) الزركشي، المرجع السابق،66/4.

القرآنية، ومثال ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك19]

فقد خرج السياق عن المتوقع – لدي المتلقى- فعدل عن اسم الفاعل "صافات" إلى الفعل المضارع " يقبضن" فقال " صافات ويقبضن"، وكان مقتضى السياق بموجب المشاكلة في التعبير أن يماثل بينهما، فيقول: " صافات و قابضات"، ولكنه انزاح عن الاسم إلى الفعل ليولد دلالة جديدة لا يفي بها الاسم لو استمر السياق على نسقه العام دون مخالفة التعبير.

وهنا يوظف التعبير القرآني الفرق الدلالي بين الاسم والفعل أحسن توظيف، ليوافق به المقال مقتضى الحال، فالمخالفة في هذا السياق تتناسب مع واقع الطير الملموس والمشاهد في الحياة « إذ جيء في وصف الطير ب(صافات) بصيغة الاسم لأن الصف هو أكثر أحوالها عند الطيران فناسبه الاسم الدال على الثبات، وجيء في وصفهن بالقبض بصيغة المضارع للدلالة الفعل على التجدد، أي ويجددن قبض أجنحتهن خلال الطيران للاستعانة بقبض الأجنحة على زيادة التحرك عندما يحسس بتغلب جاذبية الأرض على حركة الطيران »[1].

وهذا ما أشار إليه الزمخشري من قبل ، إذ يقول: « إنّ الأصل في الطيران هو صف الأجنحة: لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء ، الأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأمّا القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعلعلى معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح »[2]، فما هو أصل ثابت- وهو صف أجنحتها في الهواء- عبّر عنه بالاسم للدلالة على الثبوت والاستمرار، وما هو حادث طارئ غير مستمر وهو قبض أجنحتها –عبّر عنه بالفعل للدلالة على الحدوث والتجدد.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾ [المومنون 16] فعندما نممعن النظر في هذا السياق القرآني نجده يشتمل على عدولين: الأول: العدول عن ذكر اللام في آية الموت، إلى حذفها في آية البعث، والثاني: العدول عن

(1) ابن عاشور، المرجع السابق، 29/36-37

(2) الزمخشري، المرجع السابق ، 585/4.

الاسم " ميتون" إلى الفعل "تبعثون" و العدول الثاني هو ما يعيننا هنا، حيث جاء التعبير عن الموت بالاسم مؤكدا بالام التوكيد " لميتون" في حين عبّر عن البعث يوم القيامة بالفعل المضارع " تبعثون"، وكان مقتضى الظاهر أن يجيئ العكس، لأن وقوع الموت أمر محقق لا يحتاج إلى توكيد ولا يختلف فيه اثنان،وإنما وقع الشك لدى المشركين والكفار في قضية البعث لا الموت، غير أن التعبير القرآني-هنا- بالغ في تأكيد الموت " تنبيها للإنسان أن يكون الموت نصب عينه، ولا يغفل عن ترقبه،فإن مآله إليه فكأنه أكدّ جملته ثلاث مرات لهذا المعنى أي ب (إن) واللام وإيراد الخبر بصيغة الاسم " ميتون" دون صيغة الفعل " تموتون" فإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي كأنه مخلد، ولم تؤكد جملة البعث إلا ب(أن) لأنه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل إنكار...[1]، أي أنّ إيثار صيغة الفعل الدالةعلى التجدد والحدوث- مع البعث ما يوائم إبرازه في صورة المقطوع بحدوثه.

يقول الألوسي: « ولم يؤكد سبحانه أمر البعث تأكيده لأمر الموت مع كثرة المترددين فيه والمنكرين له اكتفاء بتقديم ما يغني عن كثرة التأكيد ويشيد أركان الدعوى أتم تشييد من خلقه تعالى الإنسان من سلالة من طين ثم نقله من طور إلى طور حتى أنشأه خلقا آخر يستغرق العجائب ويستجمع الغرائب فإن في ذلك أدل دليل على حكمته وعظيم قدرته عز وجل على بعثه وإعادته وأنه جل وعلا لا يهمل أمره ويتركه بعد موته نسيا منسيا مستقرا في رحم العدم كأن لم يكن شيئا، ولما تضمنت الجملة السابقة المبالغة في أنه تعالى شأنه أحكم خلق الإنسان وأتقنه بالغ سبحانه عز وجل في تأكيد الجملة الدالة على موته مع أنه غير منكر لما أن ذلك سبب لاستبعاد العقل إياه أشد استبعاد حتى يوشك أن ينكر وقوعه من لم يشاهده وسمع أن الله جل جلاله أحكم خلق الإنسان وأتقنه غاية الإتقان، وهذا وجه دقيق لزيادة التأكيد في الجملة الدالة على الموت وعدم زيادته في الجملة الدالة على البعث لم أر أني سبقت إليه »[2] وقيل غير ذلك[3].

وقد يرد العدول على عكس مما سبق، إذ ينزاح التعبير القرآني عن الفعل إلى الاسم ليؤدي بذلك دلالات متعددة، منها المفارقة الحسية بين ما هو متجدد ف خلقته، وما هو ثابت في طبعه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ

(1) الزركشي، المرجع السابق، 88/3.

(2) الألوسي، المرجع السابق، 220/9.

(3) ينظر: المرجع نفسه، 221/9.

وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [الأنعام 95] حيث تقتضي المطابقة في هذه الآيةالكريمة أن يعطف الفعل على الفعل لتكون على النحو التالي:" يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي"،ولكن السياق خالف ذلك، فاستعمل الفعل مع الحي، فقال:" يخرج الحي"، واستعمل مع الميت، فقال " مخرج الميت"، وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء معه بالصيغة الفعلية الدّالةعلى الحركة والتجدد، ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدّالة على الثبات[1] وقد حققت المفارقة الصياغية بإنتقالها من الصيغة الفعلية إلى الصيغة الاسمية ثراء في الصورة التي ترسمها الآية. عن طريق تجاور الأضداد، وانتقال المشهد من الحركة الدائمة والتجدد المستمر، إلى الثبوت والسكون، وهذه العناصر المتجاورة تكون مشهدا واحدا ينطق بالقدرة الالهية المطلقة.

وإذا قلت: ولماذا قل في سورة آل عمران: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران27]، بصيغة الفعل الدالة على التجدد والحركة في الموطنين؟ فإنّ الإجابة تكون لأنّ السياق في سورة آل عمران يختلف عنه في سورة الأنعام السابقة، وذلك أن السياق في آل عمران يتحدّث عن التغير والتبدل والتجدد، فالله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه ممن يشاء، ويعزّ من يشاء أو يذّله، ويغير الليل والنهار، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران 26-27].

فالسياق كله كما نلاحظ حركة وتغير وتبديل ولذلك جاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والتغير والحركة، أمّا السياق في سورة الأنعام فليس فيه تغيير وتبديل[2]، وإنّما هو في الدلالة على قدرة الله وتفضله على خلقه، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [الأنعام 95-96]

([1]) ينظر: السامرائي فاضل: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط1، 1998، ص 23.

([2]) ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

وقد يدل هذا اللون من الانزياح على حقيقة علمية تبرز جانبا من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [غافر61] إذ استعمل صيغة الفعل مع الليل فقال: "لتسكنوا فيه"، ثم عدل عنها إلى صيغة الاسم مع النهار، فقال: " مبصرا" ولم يسو بينهما ليكون ساكنا ومبصرا، أو لتسكنوا فيه أو لتبصروا فيه، مع أن الاستعمال الحقيقي هو " لتبصروا فيه".

وقد علل الزمخشري ذلك فقال: «لأنه لو قيل : لتبصروا فيه، فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي، ولو قيل: ساكنا- والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة، ألا ترى إلى قولهم: ليل ساج وساكن لا ريح فيه – لم تتميز الحقيقة من المجاز »[1]، فالنص القرآني جمع الحقيقة والمجاز في تعبير واحد، فأفضى على السياق نوعا من الجمال الفني، ولو جعلها بصورة فنية واحدة لفاتت هذه المزية الفنية.

وأضاف فاضل السامرائي إلى ذلك سببا آخر مؤداه أن الخالق – عز وجل- أراد أن يمتن على عباده بنعمته وفضله بأن جعلهم هم الساكنون في الليل ، لا أن الليل نفسه ساكنا، لذلك قال: « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه" ولو قال " هو الذي جعل لكم الليل ساكنا" لما كان فيه دلالة على نعمة الخلق، ولهذا جاء بالصيغة الفعلية للدلالة على قصد النعمة والتفضل على العباد »[2]، ثم عدل عن الفعل إلى الاسم، وهن الحقيقة إلى المجاز، فقال: " والنهار مبصرا"، ولو قال : " لتبصروا فيه" لفات التعبي الفني الجميل في هذا المجاز، وقد أفاد العدول عن الفعل إلى الاسم " مبصرا" ملمحين دلاليين:

أولهما: ملمح معنوي يراد به بيان أن النهار نفسه مبصر، يبصر أعمالنا، ويكون شاهدا علينا بالخير والشر، وخص النهار بالاشهاد على الأعمال: لكونه محلا لحركة العباد، لذلك يقولسبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام 60]

وثانيهما: ملمح حسي مادي يكشف عن جانب من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إذ كان المعتقد قديما لدى علماء الإبصار «أن الإبصار يحدث نتيجة خروج شعاع

([1]) الزمخشري، المرجع السابق، 180/4- 181 و ينظر ابن عاشور، المرجع السابق، 231/24.

([2]) ينظر: السامرائي ، المرجع السابق، ص 27.

من العين يسقط على الجسم فتتم رؤيته »[1] ، وقد ثبت علميا خطأ هذا الاعتقاد بعد تقد دراسات التشريحية للعين، إذ أثبتت هذه الدراسات أن حدوث الإبصار يحدث نتيجة خروج شعاع من العين يسقط على الجسم، ثم ينعكس ليسقط على العين مرة أخرى. وعملية الانعكاس تتم للون واحد " طول موجي واحد" من ألوان الطيف السبعة المكونة لشعاع الشمس المرئي، ومن ثم فوجود شعاع الشمس أساسي لحدوث عملية الإبصار، فلا يمكن حدوث الإبصار في الظلام لعدم وجود الأطوال الموجية للأشعة المرئية، والتي يمكن للأجسام امتصاص بعضها وعكس الآخر لترى به على سقوطه شبكة العين[2] ، ولذلك فإن التعبير بكون النهار مبصرا في قوله تعالى " والنهار مبصرا" إنما المراد به الأشعة المرئية المضيئة للنهار، والتعبير باسم الفاعل " مبصر" يفيد بأن النهار هو مصدر تلك الأشعة.

(1) عبد الباسط، موسوعة الإارات العلمية في القرآن و السنة دار غريب، القاهرة، 2000، (دط) ص 86.

(2) المرجع نفسه، ص 86.

المبحث: الثالث: نماذج العدول الصرفي في سورة الكافرون والآيات الأولى من سورة النازعات

1- النموذج الأول: سورة الكافرون

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون[1-6]

أ- محور مواضيع السورة :

يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ التَّوْحِيدِ وَالبَرَاءةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلاَلِ ، فَقَدْ دَعَا المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ .. إلى المُهَادَنَةِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ سَنَةً ، وَيَعْبُدُوا إِلَهَهُ سَنَةً ، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ تَقْطَعُ أَطْمَاعَ الكَافِرِينَ ، وَتَفْصِلُ النِّزَاعَ ينَ الفَرِيقَيْنِ : (أَهْلِ الإِيمَانِ . وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ) ، وَتَرُدُّ عَلَى الكَافِرِينَ تِلْكَ الفِكْرَةَ السَّخِيفَةَ فِي الحَالِ وَالاسْتِقْبَال[1] .

ب- مواضع العدول في سورة الكافرون ودلالته:

نلمح في الأيات الأولى﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُون ﴾ تطابق بين زمن الأفعال "أعبد" و"تعبدون" فكلا الفعلين ورد بصيغة المضارع الذي بدوره يدل على الحال والاستقبال، حيث جاء نفى العبادة عن نفسه لآلهتهم الباطلة أولا بصيغة المضارع حيث قال الزمخشري، « "لا أَعْبُدُ" أريدت به العبادة فيما يستقبل، لأن "لا" لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، كما أن "ما" لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال، ألا ترى أن "لن"

(1) الطبري، المرجع السابق، 661/24.

تأكيد فيما تنفيه "لا"وقال الخليل في "لن" : أنّ أصله "لا أن" والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهى » [1].

ثم عدل عنه في خطابهم إلى صيغة الاسم ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ « أي فيما يستقبل لأنه في قران لا أَعْبُدُ »[2].

ثم عدل عن المضارع أيضا إلى اسم الفاعل في إخباره عن نفسه ثانية في قوله: ﴿ وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ أي في الحال أو فيما سلف "الماضي" عَلَى نَفْيِ العبادة منه لما عبدوا في الماضي.[3] «وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ أي لم يكن مني ذلك قط قبل نزول الوحي، ولهذا أتى في عبادتهم لفظ الماضي فقال "ما عبدتم" فكأنه قال: لم أعبد قط ما عبدتم. »[4] ، ونحو ذلك قال الزمخشري «وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ أي: وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى منى في الإسلام »[5].

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ «عَلَى التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى، مِنْ قِبَلِ أَنَّ التَّقَابُلَ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ: وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا عَبَدْتُ، فَعَدَلَ عَنْ لَفْظِ عَبَدْتُ إِلَى أَعْبُدُ، إِشْعَارًا بِأَنَّ مَا عُبِدَ فِي الْمَاضِي هُوَ الَّذِي يُعْبَدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، مَعَ أَنَّ الْمَاضِيَ وَالْمُسْتَقْبَلَ قَدْ يَقَعُ أَحَدُهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ »[6] « أَعْبُدُ مقابله، أي لم تعبدوا قط في الماضي ما أعبده أنا دائما وعلى هذا فلا تكرار أصلا »[7]. والسر في هذا العدول في أغلب الأقوال المذكورة هو شمول الزمان واستيعابه واختلف هل الأول للدلالة على الحال والثاني للاستقبال أو العكس أو كلاهما للحال والاستقبال)[8] وقيل (الجملتان الأوليان لنفى العبادة في المستقبل، والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضى)[9] وقيل غير ذلك[10] .

([1])الزمخشري، المرجع السابق، 409/9.

([2]) القرطبي، المرجع السابق، 229/20

([3]) المرجع نفسه، 229/20.

([4]) ابن القيم، التفسير القيم، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربيةو الإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان، دار مكتبة الهلال، ط1، 1989، 591/1.

([5]) الزمخشري، المرجع السابق،409/9.

([6])القرطبي، المرجع السابق،230/20.

([7]) ابن القيم، المرجع السابق، 592/1.

([8]) ينظر: الرازي، المرجع السابق، 16/ 717-718.

([9])ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، 238/4.

([10]) ينظر: الألوسي 215/15، الطبري: 313/30، القرطبي10/ 731.

«وقد استوفت الآيات أقسام النفي ماضيا وحالا ومستقبلا عن عبادته وعبادتهم بأوجز لفظ وأخصره وأبينه »[1].

وقال ابن تيمية «الفعل المضارع هو في اللغة يتناول الزمن الدائم سوى الماضي، فيعم الحاضر والمستقبل.. فقوله: "لا أعبد" يتناول نفى عبادته المعبودهم في الزمان الحاضر والزمان المستقبل، وقوله ما تعبدون يتناول ما يعبدونه في الحاضر والمستقبل وكلاهما مضارع. وقال في الجملة الثانية عن نفسه ﴿ وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ فلم يقل" لاأعبد" بل قال ولا أنا "عابد ولم يقل " ما تعبدون" بل قال " ما عبدتم" فاللفظ في فعله وفعلهم مغاير للفظ في الجملة الأولى.. والنفى بهذه الجملة الثانية أعم من النفى بالأولى، فإنه قال: ﴿ وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ بصيغة الماضى، فهو يتناول ما عبدوه في الزمن الماضي، لأن المشركين يعبدون آلهة شتى وليس معبودهم في كل وقت هو المعبود في الوقت الآخر، كما أن كل طائفة لها معبود سوى معبود الطائفة الأخرى. «وَجِيءَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي فِي قَوْلِهِ: مَا عَبَدْتُّمْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى رُسُوخِهِمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ أَزْمَانٍ مَضَتْ، وَفِيهِ رَمْزٌ إِلَى تَنَزُّهِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ سَالِفِ الزَّمَانِ وَإِلَّا لَقَالَ: وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا كُنَّا نعْبد »[2].

«فقوله: (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ) براءة من كل ما عبدوه في الأزمنة الماضية، كما تبرأ أولا مما عبدوه في الحال والاستقبال، فتضمنت الجملتان البراءة من كل ما يعبده المشركون والكافرون في كل زمان ماضى وحاضر ومستقبل. وقوله اولا) لا أعبد ما تعبدُونَ (لا يتناول هذا كله »[3]. وبهذا يكون فائدة العدول إلى اسم الفاعل في هذا الموضع هو شمول جميع الأزمان، والتبرؤه من جميع معبوداتهم الباطلة التي عبدوها أو يعبدونها في يوم من الأيام. فقد رجح ابن تيمية شمول دلالة اسم الفاعل فى هذا الموضع للأزمنة الثلاثة - والمشتهر هو دلالة اسم الفاعل المنون على الاستقبال ولكن يجوز صرفه إلى غيره بدلالة القرائن، وقد دل لفظ (عبدتم) على صرفه إلى معنى المضى، فضلا عن أن الكسائي وابن هشام جوزا إعماله ماضيا، كما أنه يجوز إعمال الفاعل مفسرا له بالماضى بأنه على حكاية الحال

([1]) ابن القيم، المرجع السابق، 592/1.

([2]) ابن عاشور، المرجع السابق، 579/30.

([3]) ابن تيمة، دقائق التفاسير، تح: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط2، 1983،، 325/6، 326.

كقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ [الكهف:18] وقوله: ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ ما كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 27][1].

وقد فسر القرطبي كذلك ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾على نفى العبادة منه لما عبدوا في الماضي[2].

وثمة فائدة أخرى هذا العدول نبه عليها الإمام ابن تيمية وهي قوله: «وقوله: (ولا أنا عابد) اسم فاعل قد عمل عمل الفعل ليس مضافا، فهو يتناول الحال والاستقبال أيضا، لكنه جملة اسمية والنفى بما بعد الفعل فيه زيادة معنى كما تقول: ما أفعل هذا، وما أنا بفاعله. وقولك" ما هو بفاعل" هذا أبدا، أبلغ من قولك" ما يفعله أبدا" فإنه نفى عن الذات صدور هذا الفعل عنها، بخلاف قولك (ما يفعل هذا) فإنه لا ينفيإمكانه وجوازه منه، ولا يدل على أنه لا يصلح له ولا ينبغى له بخلاف ما هو فاعل، وما هو بفاعل" كما في قوله تعالى ﴿ فَمَا الَّذِينَ فَضْلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [النحل:71]وقوله: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِي ﴾ [إبراهيم: 22وقوله ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : 74] ﴿وَمَا التَ بِهَادِي العُمْي ﴾ [النمل: 81] ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِع منفي القبور ﴾ [فاطر (22] ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [البقرة:] فقوله ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ [الكافرون : 4]أي نفسى لا تقبل ولا تصلح لها أن تعبد ما عبدتموه ولو كنتم عبدتموه قط في الماضى فقط، فأى معبود عبدتموه في وقت فأنا لا أقبل أن أعبده في وقت من الأوقات. ففى هذا من عموم عبادتهم في الماضى والمستقبل، ومن قوة براءته وامتناعه وعدم قبوله لهذه العبادة في جميع الأزمان ما ليس في الجملة الأولى. تلك تضمنت نفى الفعل فى الزمان غير الماضى، وهذه تضمنت نفى إمكانه وقبوله لما كان معبودا لهم ولو في بعض الزمان الماضى فقط، والتقدير: ما عبدتموه ولو في بعض الأزمان الماضية فأنا لا يمكنني ولا يسوغ لي أن أعبده أبدا وهذا الذى ذكره الإمام في هذا الموضع قد نقله الإمام الألوسى وذكر ما أورد عليه ورده موجها لقول الإمام ابن تيمية فقال نقل أيضا عن شيخ الإسلام أن المراد بقوله سبحانه ﴿لا أعبد ما تَعْبُدُونَ ﴾ نفى الفعل لأنها جملة فعلية، بقوله تعالى ﴿ولا أنا عايدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ نفى قبوله من لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفى الفعل وكونه عليه الصلاة والسلام قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى إمكانه الشرعى ونوقش في

(1) ينظر: الدر المصون، المرجع السابق، 6/ 582.

(2) القرطبي، المرجع السابق، 224/20.

إفادة الجملة الاسمية نفى القبول ولا يبعد أن يقال إن معنى الجملة الفعلية نفى الفعل في زمان معين والجملة الاسمية معناها نفى الدخول تحت هذا المفهوم مطلقا من غير تعرض للزمان كأنه قيل أنا ممن لا يصدق عليه ذلك المفهوم فتدبر» [1].

وقد رجح ابن كثير في تفسيره كلام ابن تيمية السابق واعتمده تلميذه ابن القيم في تفسيره لسورة الكافرون واكتفى بحكايته عن غيره[2] وأرى أنه يمكن توجيه كلام ابن تيمية باعتبار دلالة اسم الفاعل على النسب قال ابن مالك ومع فاعل وفعال فعل في نسب أغنى من الياء قبل ومن ثم يكون المعنى بناء على ذلك ولا أنا بمنتسب إلى عبادتكم أبدا ولا أصلح لها ولا يمكن أن تكون من مثلى أو أنسب إليها)، ومثل هذا المعنى يصح أن يحمل عليه العدول على اسم الفاعل في قوله تعالى : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أيضا.

قال الإمام ابن تيمية « كل كافر بمحمد لا يعبد ما يعبده محمد ما دام كافرا، والفعل المضارع يتناول ما هو دائم لا ينقطع، فهو ما دام كافرا لا يعبد معبود محمد صلى الله عليه وسلم لا في الحاضر ولا في المستقبل ولم يقل عنهم ولا تعبدون ما أعبد بل ذكر الجملة الاسمية ليبين أنه نفس نفوسكم الخبيثة الكافرة بريئة من عبادة إله محمد ولا يمكن أن تعبده ما دامت كافرة. إذ لا تكون عابدته إلا بأن تعبده وحده بما أمر به على لسان محمد، ومن كان كافرا بمحمد لا يكون عمله عبادة الله قط. وتبرئتهم من عبادة الله جاءت بلفظ واحد بجملة اسمية تقتضى براءة ذاوتهم من عبادة الله لم تقتصر على نفى الفعل »[3].

ومن ثم فإن دلالة التعبير باسم الفاعل فى هذا الموضع شبيهة بدلالته في الموضع السابق؛ إذ إن المعنى والله أعلم هو نفى صحة انتسابهم إلى عبادة الله تعالى ما داموا ملابسين لما هم عليه من الشرك والكفر.

ومما جاء من استعمال اسم الفاعل أيضا بتلك الدلالة التى نبه عليها الإمام ابن تيمية سابقا غير ما ذكر من الآيات التي استشهد بها قوله تعالى عن أخوة يوسف حينما وجهت إليهم تهمة سرقة صواع الملك ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سارقين ﴾ [يوسف: 73]حيث أثر صيغة اسم الفاعل على صيغة الفعل نحو (وما كنا

([1]) الألوسي، المرجع السابق، ، 30/351-252.

([2]) ابن القيم، سورة الكافرون والمعوذتين للإمام ابن القيم، السنة المحمدية، القاهرة، ط1، 1949،، ص 7-8

([3]) ابن تيمية، المرجع السابق ، 6/ 327-328.

لنسرق) للدلالة على عدم انتسابهم إلى هذه الصفة، وعدم صلاحيتهم للاتصاف بها، فكان مثل هذا الفعل لا يمكن أن يتأتى منهم ألبتة، ولا يليق اتصافهم به وهم من بيت النبوة. ولذا قال الزمخشرى فى معناها (وما كنا قط نوصف بالسرقة وهى منافية لحالنا) وقال الألوسي في تفسيره أى ما كنا نوصف بالسرقة قط)[1].

ويذكر ابن القيم في تفسيره لسورة الكافرون فائدة في سر تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم ، حيث قال: «ففي ذلك سر، وهو الإشارة والإيماء إلى عصمة الله لنبيه عن الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده، والاستبدال به غيره، وأن معبوده الحق واحد في الحال والمآل على الدوام، لا يرضى به بدلا، ولا يبغي عنه حولا، بخلاف الكافرين فإنهم يعبدون أهواءهم، ويتبعون شهواتهم في الدين وأغراضهم. فهم بصدد أن يعبدوا اليوم معبودا، وغدا غيره. فقال: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ يعني الآن وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ أي الآن أيضا. ثم قال: وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ يعني ولا أنا فيما يستقبل يصدر مني عبادة لما عبدتم أيها الكافرون»[2].

وأن النفي في هذه السورة أتى بأداة «لا» دون «لن» فلما تقدم تحقيقه عن قرب أن النفي «بلا» أبلغ منه «بلن» وأنها أدل على دوام النفي وطوله من «لن» وأنها للطول والمد الذي في لفظها طال النفي بها واشتد[3].

2- النموذج الثاني: الأيات الأولى من سورة النزعات

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: 1-4]

([1]) الزمخشري، 268/2، الألوسي، 27/13.

([2]) ابن القيم،المرجع السابق، 593/1.

([3]) المرجع نفسه ، 594/1.

أ- مواضع العدول في الآيات ودلالته:

-العدول إلى اسم الفاعل:

وقد وقع الخلاف في معنى هذه الصفات وفى الموصوف بها بين أهل التأويل [1] وأغلب الأقوال أنها الملائكة "**هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجازى بعملهاوتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجازى بعملها.**

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ وهم الملائكة أيضا، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النزع يكون لأرواح المؤمنين، والنشط لأرواح الكفار [2].

قال الألوسى قال ابن مسعود تنزع الملائكة روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تردها في جسده، وهكذا مرارا فهذا عملها في الكفار، والنشط الإخراج برفق وسهولة وهو أنسب بالمؤمنين، وكذا السبح ظاهر فى التحرك برفق ولطافة، قال بعض السلف إن الملائكة يسلون أرواح المؤمنين سلا رقيقا ثم يتركونها حتى تستريح رويدا ثم يستخرجونها برفق ولطف كالذى يسبح فى الماء فإنه يتحرك برفق لئلا يغرق فهم يرفقون في ذلك الاستخراج لئلا يصل المؤمن ألم وشدة[3] وهذا يناسب ما تقرر من أن اسم الفاعل إنما يدل على إثبات الصفة مع الدلالة على تجدد تلك الصفة [4]، ومن ثم كانت دلالة اسم الفاعل فى المنازعات على ثبوت تلك الصفة للملائكة مع تكرار ذلك النزع منهم على ما فيه من شدة وإيلام بنالها الكافر حال نزعه.

---

[1]) الطبري، المرجع السابق، 18/30، 19.

[2]) تفسير السعدي،تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،تح: عبد الرحمن بن معلا اللوحيق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000،908/1

([3])ينظر: القرطبي، 190/19، الألوسي، 223/15.

([4]) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني ، 339/1، تمام جسان، اللغة العربية ، معناها ومبناها، 99

كما يدل اسم الفاعل في الناشطات على الترفق فى إخراج روح المؤمن بتركها لإراحتهاثم إعادة النشط برفق مرة أخرى إذا صح ما سبق نقل الألوسى له آنفا عن بعض السلف وكذلك السابحات والسابقات جوز أن يكون المراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم فيسبقون فيه إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية. ومعلوم أن ذلك السبح وذلك السبق أمور وأحداث تتجدد من الملائكة بتجدد حركتها لتدبير الأمور الموكلة بها فناسب في ذلك كله (السبح والسبق والتدبير) أن تثبت تلك الأوصاف كلها للملائكة باسم الفاعل الدال على إثبات الصفة . التجدد.

قال السدى وجماعة: النازعات النفوس تنزع بالموت إلى ربها[1] قال ابن عباس:(الناشطات) النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج أو يكون المقصود بذلك الملائكة النازعات الناشطات هذا على أن المقصود بالنزع والنشط ما يكون عند الموت فأيا ما كان الموصوف بالنازعات والناشطات النفوس أو الملائكة فالوصف باسم الفاعل مناسب تمام المناسبة لتكرر النزع والنشط حالة الحشرجة وتردد الروح فى الصدر إذا بلغت الحلقوم. وكذلك على القول بأنها النجوم في نزوعها ونشطها من أفق إلى أفق وسبحها من فلك إلى فلك، وسبق بعضها بعضا، مما يدل على دوام حركتها وتجددها بتكرر تلك الأفعال منهاعلى الدوام.

وكذلك على القول بأنها الخيل فى سبحها وسبقها وغير ذلك، أقول: إن هذه الصفات مهما اختلف الموصوف بها فإن دلالة التجدد ملازمة لها، ومن ثم ناسب صوغها على اسم الفاعل على جميع الأقوال، وعلى عموم تلك الصفات. وكان الأشبه بالصواب ما رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري أن الله تعالى أقسم بالنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمديرات على العموم، فكل من يتأتى منه هذه الأفعال فهو داخل في القسم[2]. وكان النكتة في التعبير باسم الفاعل مكررا في تلك الآيات هي الإشارة إلى أن هذه الصفات مما يتجدد ويتكرر حدوثه بتعاقب الأيام، وفيها من الآيات والعظات ما يذكر به أولوا الألباب، إذ إن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم من عظائم قدرته ففي تلك الصفات وتجددها من النزع والغرق والنشط وغير ذلك أعظم العبر لمن يتعظ بتقلب الدهر وتعاقب الأيام، أيا كان الموصوف بالنزع والغرق كما أن فى التفكر في صفات السبح والسبق والتدبير وتكرر ذلك

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: تح عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2001، 430/5، القرطبي،191/19.

(2) ينظر: الطبري،المرجع السابق، 18/30-19.

وتجدده على الدوام أيا كان الموصوف به أعظم الآيات الدالة على قدرة الله تعالى على بعثه وحشره إليه لمحاسبته على ما قدم ،وأخر، وذلك واضح ظاهر من سياق السورة وخاصة الآيات التالية لتلك الآيات، ولنا عندها وقفة كذلك.

ولهذه اللمحة ذاتها ولتلك النكتة فيما نرى جاء تكرار اسم الفاعل كذلك في سورة المرسلات في قوله تعالى ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات: 1-8]

وفيها من الأقوال لأهل التأويل[1] نحو الذي أوردناه في هذه السورة مع تشابه السورتين في السياق والمساق.

وعلى هذا النسق نفسه كذلك مع اتحاد السياق والمساق تطالعنا سورة الذاريات كذلك: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [الذاريات:1-6] وفيها من الأقوال لأهل التأويل نحو ما نجده فى سورتى النازعات والمرسلات كذلك [2] وعلى هذا النحو أيضا جاءت سورة العاديات على وجازتها ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [العاديات: 1-9]

فكأن التعبير باسم الفاعل في تلك المواضع جميعا إنما هو بمثابة مفتاح للتعقل والتدبر لتلك المقابلة بين المتغير المدلول عليه باسم الفاعل، والثابت المدلول عليه باليوم الآخر، ليدرك المرء أن نهاية هذا التقلب فى الكون، ونهاية تلك الحركة وذاك التجدد الدائم إنما هو في ذلك اليوم الآخر﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [القيامة:12] ومن ثم فقد انتقلت الآيات بعد ذلك إلى تصوير تلك النهاية الثابتة بتوظيف صيغة اسم الفاعل كذلك لإحداث تلك المقابلة بين المتغير والثابت، وعلى هذا النحو جاءت الآيات التالية في سورة النازعات.

وهذه الآيات هى الآيات التالية لآيات القسم السابقة في سورة النازعات، وقد كرر في فاصلتها اسم الفاعل كذلك بما يحتاج إلى وقفة منا لتأمل الجانب الفني في ذلك التكرار﴿

(1) ينظر: الطبري، 140/29، القرطبي، 153/19.

(2) ينظر، الطبري، 166/27، القرطبي، 29/17 الدر الصون، 183/6.

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات:6-14]

ونلحظ هنا أن دلالة اسم الفاعل تختلف عن الموضع السابق، فالراجفة رجفة واحدة، من إثر نفخة واحدة ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقة: 13-15]

والرادفة هي النفخة التالية كذلك،وهي واحدة ومن ثم فلا يظهر في دلالة اسم الفاعل هنا في الموضعين معنى التجدد، وإنما يظهر فيهما معنى الثبوت وذلك كأمثاله فى (الحاقة والواقعة والطامة والصاخة والقارعة) وأشباهه.

وكذلك واجفة، وخاشعة، فاضطراب القلوب، وخشوع الأبصار لا ينقطع حتى يتصور التجدد وكذلك الحافرة والناخرة والخاسرة، لا يتصور في ذلك معنى ! وإنما الأغلب في ذلك كله معنى النسبة أى ذات حفر، وذات نخر، وذات خسار، وذات وجيف، وخشوع ورجف، وردف وهذا المعنى أى النسبة هو أحد المعانى التى يدل عليها اسم الفاعل مع ما في تلك النسبة من ثبوت الصفة لصاحبها الموصوف بها كما في قولهم (لابن وتامر)[1] ومن ثم فإن الدلالة الرئيسية لاسم الفاعل في هذا المقطع إنما هى الدلالة على ثبوت نسبة تلك الأوصاف لليوم الآخر ثبوتا مؤكدا، يفيده التعبير بصيغة اسم الفاعل المكررة.

ومن ثم نستطيع أن نقف على الدور الفنى الذى تقوم به صيغة اسم الفاعل في تلك الصورة حيث ثم توظيفها على الذي أحسن، لكي تدل تلك الصيغة الواحدة بما جمعت من دلالات التجدد والثبوت على تلك المقابلة المقصودة بين الحياة الدنيا بما تشتمل عليه من تقلب وتغير وتجدد من الحياة والموت ودوران الفلك، وسبح الخيل وسبقها ونزع القسى وغير ذلك وبين مظاهر اليوم الآخر بما فيه من الصفات الثابتة القاطعة لتلك الحركة والمفنية لها لتنقل العباد إلى دار خلود بلا موت، سواء لأصحاب الجنة أو أصحاب الجحيم. وثمة لفتة أخرى لا يسعنا أن نفوتها في هذا الموضع، ألا وهي، دور الصيغة في تغيير الإيقاع السريع الثابت في هذا المشهد كله مشهد اليوم الآخر وذلك حتى يؤدى ذلك الإيقاع الصرفي أو الصيغى دوره كذلك في عقد تلك المقابلة بين تقلب الدنيا، وثبات الآخرة.

(1) ينظر: الرازي، 174/16، ابن جني، المرجع السابق، 152/1.

وإذا كان للإيقاع هذا الدور الفنى في هذا الموضع فلا جرم قد قصدت إليه القراءة القرآنية قصدا، فعدلت إلى صيغة اسم الفاعل تحقيقا لذلك الإيقاع المؤثر، وذلك كما في (الحافرة) فهي وإن كانت بمعنى ذات حفر، فإنها بمعنى اسم المفعول أى محفورة، لأن ذا الصفة قد يكون فاعلا وقد يكون مفعولا كما سبق نقله عن ابن جنى مرارا ومن ثم فقد عدل فيها عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل[1].

-العدول إلى الصفة المشبهة:

وكذلك قراءة ﴿أئذا كنا عظاما نخرة ﴾وهى قراءة عامة قراء الكوفة وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية أبي بكر وعمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وابن الزبير ومسروق ومجاهد وجماعة سواهم[2] فقد عدل في هذه القراءة عن اسم الفاعل الذى توالت عليه فواصل السورة فى هذا الموضع والغرض من ذلك العدول – والله أعلم - هو التعبير عن مدى استبعاد الكفار للبعث، وتعجبهم من إحياء الله تعالى لعظامهم بعد أن تتناهي في البلي والهلاك.

" قرأ عمر وأبي وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق ومجاهد والأخوان وأبو بكر ناخرة بالألف وهو كنخرة من نخر العظم أي بلى وصار أجوف تمر به الريح فيسمع له نخير أي صوت وقراءة الأكثرين أبلغ فقد صرّحوا بأن فعلا أبلغ من فاعل وإن كانت حروفه أكثر وقولهم زيادة المبنى أغلبي أو إذا اتحد النوع لا إذا اختلف كأن كان فاعل وفعل وصفة مشبهة"[3].

ولذلك قال ابن جرير رحمه الله بعد أن عزا القراءتين إلى أصحابهما: "وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا نخرة بغير ألف بمعنى بالية غير أن رءوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إلى ذلك أن تلحق ناخرة بها ليتفق هو وسائر رءوس الآيات لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلى حذف الألف منها. إذا كان الأكثرون على أن (فعل) أبلغ من (فاعل)[4]، أو أنّ النخرة قد بليت، والناخرة التي لم تنخر بعد، فمن ثم كان التعبير بنخرة وهي صفة

(1) ينظر: الزمخشري، 181/4، الألوسي،27/30.

(2) ابن عطية، المرجع السابق، 432/5.

(3) ينظر: الألوسي، المرجع السابق ،30/ 28

(4) ينظر: الآلوسي 28/30،الزمخشري ، 181/4، الدر المصون472/6.

مشبهة تدل على ثبات تلك الصفة في العظام لطول العهد مع ما فيها من معنى المبالغة خاصة و أن فعل من صيغ المبالغة كذلك فلا جرم كان هذا أكثر مناسبة لإستبعاد هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث بقولهم (يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً) [النازعات 10-11] وخولف الإيقاع لأجل هذه المناسبة، وقدّمت رعاية المعنى على رعاية اللفظ في هذه القراءة وهي قراءة الأكثرين ولذا قال الطبري: " وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا نخرة بغير ألف بمعنى بالية غير أن رءوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إلى ذلك أن تلحق ناخرة بها ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلى حذف الألف منها[1].

-العدول إلى صيغة المفرد:

ومما يلفت النظر كذلك في توظيف الصيغ في تلك الآيات استخدام صيغة المفرد في قوله تعالى ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً ﴾ حيث اختارت السورة الكريمة صيغة المفرد (أمرا) على (أمورا) والملائكة إنما تدبر فى الحقيقة أمورا كثيرة لا أمرا واحدا.

ولعل النكتة في ذلك - والله تعالى أعلم - أن توحيد المأمور به إنما جاء مفردا للدلالة على وحدة الأمر، وهو الله سبحانه، ففيها من الدلالة على وحدانيته سبحانه وتفرده بالأمر والنهي ما فيها.

أو يكون ذلك دلالة على وحدة المأمورين في أداء أمره سبحانه وتنفيذه، فهم جميعا في ذلك يد واحدة، مجتمعون على طاعته سبحانه ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾. [البقرة:116]

ويمكن حمل ذلك على مدى قوتهم وسرعتهم فى الأداء؛ فتلك الأمور جميعا في حقهم كانها أمر واحد لا يلهيهم أمر عن أمر؛ إذ أقدرهم الله على جميع ما كلفهم به ويسرهم له. كما يمكن النظر إليه باعتبار أن تلك الأمور وإن كثرت فهى جميعا في حقه تعالى كأمر واحد؛ وذلك كقوله تعالى ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: 28] ومن ثم نتبين قيمة هذا الإفراد وفضله على الجمع وما يلقيه من ظلال وإيحاءات دلالية في هذا الموضع. كما يلفتنا كذلك استخدام النظم القرآني لصيغة المرة في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ حيث اختار صيغة المرة زجرة، فضلا عن توكيدها بلفظ

[1] ينظر: الطبري، المرجع السابق، 23/30.

(واحدة) مع دلالتها في نفسها على الوحدة؛ وذلك مبالغة منه سبحانه في الرد على هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث وبيان أن الأمر جد هين عليه سبحانه فما هي إلا نفخة واحدة من الملك الموكل بالنفخ فى الصور فإذا الخلائق جميعا قد بعثوا وخرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ليعرضوا على ربهم.

وهكذا نجد أن الصيغ المستخدمة في كل آية من آيات هذا النظم الشريف قد وظفت توظيفا رائعا لخدمة الغرض الذى سيقت الآيات لأجله بطريقة تميز الأسلوب القرآني عن غيره من أساليب الكلام بتلك البراعة الفائقة في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة؛ ما يدلنا على أن هذا الجانب من الإعجاز القرآني لا يزال بحاجة إلى العديد من الدراسات التي تكشف عن أسراره وتستخرج كنوزه العامرة.

خاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه، له الحمد على نعمة التوفيق للعيش في ظلال كتابه الكريم، والصلاة والسلام عل من أرسله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فقد تناولت في هذا البحث العدول الصرفي في القرآن الكريم دارسة دلالية، وقد خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

*أن العدول الصرفي في النص القرآني لا يكون إلا لغرض بلاغي أراده الحق تبارك وتعالى، فالتعبير القرآني عندما يغاير بين الصيغ الصرفية، ويعدل عن صيغة إلى أخرى، فإنه يكشف لنا عن المعان البلاغية والايحاءات الدلالية التي تدل على الإعجاز البياني لهذا الكتاب الخالد .

*أن الدلالة الصرفية للأبنية والصيغ لها أهمية كبيرة في توجيه وتفسير دلالات العدول وبيان معانيه، فكل صيغة تميز عن أختها في المعنى.

*أن ظاهرة العدول الصرفي التي برزت في الذكر الحكيم قد لفت انتباه اللغوين والمفسرون وقد سعو في تفسير هذه العدولات والكشف عن أسرارها.

*أن ظاهرة العدول عن الصيغ الصرفية وإيثار صيغة صرفية أخرى يكون لخصيصة معنوية بالضرورة ثم يحلقه الايقاع، أي الإيقاع تبعا لهذا العدول-فمعاذ الله- أن يعدل برؤوس الأى من أجل الإيقاع .

*أن أنواع العدول الصرفي وأشكاله متنوعة منها العدول الاسمي وهو بدوره يتفرع إلى صور وأشكال منها العدول في المصادر والعدول في العدد والعدول في المشتقات والعدول في الجنس والعدول في التذكير والتأنيث، والعدول الفعلي وله صور وأشكال. وتارة يكون العدول بين الأسماء والأفعال.

*أن من أهم غايات العدول وأبعاده البعد المعنوي والبعد الايقاعي والبعد التداولي ، وأن البعد الايقاعي يكون تابعا للمعنى. كما في لفظة "عجيب" و" عجاب" .

* أن العدول إلى الصيغ الاسمية للثبات، ويعدل إلى الصيغ الفعلية طلبا للحركة والتجدد، ويعدل عن الماضي إلى المضارع استحضارا للحدث، ويعدل عن مضارع إلى الماضي تأكيدا للحدث، وكثيرا ما يرتبط ذلك بالأحداث العظيمة ومنها أهوال يوم القيامة وغيرها من الدلالات التي أشرنا إليها في متن البحث.

*إن العدول الصرفي في القرآن الكريم يعد وجها من وجوه الإعجاز.

*كل صيغة عدل عنها إلى صيغة أخرى تحمل في طياتها معنى لا تحمله الصيغة الأخرى.

*أن كل زيادة في معنى ينجم عنها زيادة في المعنى، إذ أن الصيغ المجردة حينما يعدل عنها بالصيغ المزيدة إنما يكون ذلك تأكيدا للمعنى ومبالغة فيه وتعميقا له.

*أن لدلالة الصيغة أثر واضح على دلالة المعجم، مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الصيغة والدلالة، أو بين علم الصرف والدلالة.

التوصيات:

إن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز في معناه ومبناه، أنزله الله بلسان عربي مبين، وهو بذلك جاري على سنن العرب في أساليبهم وطرائقهم في الكلام، ولكنه فاقهم في عذوبة ألفاظه وحلاوة معانيه.

ولذلك يعد البحث فيه مجالا خصبا للدراسات النحوية والصرفية والصوتية، فأصواته معجزة ، كلماته معجزة، وتراكيبه معجزة ، فهو المعجزة العقلية الكبرى الخالدة.

لذا على الباحثين والدارسين في مجال اللغة العربية اتّخاذه المصدر الأول والأوثق من بين مصادر التشريع اللغوي، وأن البحث العلمي من خلال القرآن الكريم يخدم هذا الكتاب العظيم الذي تعهد المولى عزوجل بحفظه.

ومن جانب آخر فإن أنواع العدول في القرآن الكريم متنوعة على حساب مستويات اللغة ، فناك العدول الصوتي، والعدول النحوي أو التركيبي. فهناك مجال واسع وما زال مفتوحا أمام الباحثين.

وفي الختام أطلب من العلي القدير أن أكون قد وفقت في بحثي هذا وقدّمت ما فيه الخير والفائدة، فهو نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1- أبو الهلال اعسكري، الفروق اللغوية ، تح: أحمد سليم ، جروس بيسرس، لبنان،ط1، 1994.

3- أبي عبيدة، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1994.

4- أبو البقاء الحنفي، الكليات، تح:عدنان درويش، محمد المصري، ، مؤسسة الرسالة، دط، دت.

5- أحمد ابن فارس،الصاحبي في قفه اللغة العربية، محمد علي بيضون،ط1، 1997

6- الأنباري، المذكر و المؤنث، تح: طارق الجنابي، القاهرة، 1983

7- أبو العباس، شهاب الدين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط، دت.

8- الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1998

9- أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، دط، دت.

10- أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط في التفسير، صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط1، 1999.

11- أبو العباس، شهاب الدين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط، دت.

12- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداوي، دار القلم، بيروت، ط1، دت، .

13- أبو القاسم السهيلي،الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عممر عبد السلام السلامي،دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000.

14- أحمد بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، دار النهضة العربية بيروت، 1985

15- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح:علي عبد الباري عطية،: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1994.
16- الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1983،.
17- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ط18، 1993.
18- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي علبانة، دار نهضة، مصر للطابعة والنشر، دط، دت.
19- ابن جني، المحتسب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،ط1، 1999.
20- ابن جني، الخصائص، تح: علي النجار، عالم الكتب، ط1، 1955
21- ابن هشام، شرح شذور الذهب،عبد الغي الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا،دط، دت.
22- ابن بنين الدقيقي، اتفاق المباني واختلاف المعاني،تح: يحي عبد الرؤف الجبر، دار عمان، ط1، 1405ه.
23- ابن القبيصي، التتمة في التصريف،تح: محسن بن سالم العميري، مطبوعات مكة الثقافي،ط1، 1993.
24- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980.
25- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1967.
26- ابن التستري، المذكر والمؤنث، تح: عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1983.
27- ابن هاشم، قطر الندى وبل الصدى، المكتبة التجارة الكبرى ومطبعة السعادة، مصر، ط1، 1963،.
28- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 1994.
29- ابن مالك الطائي الجياني، من ذخائر ابن مالك في اللغة ، مسألة من كلام الامام ابن مالك، في الاشتقاق ، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار، الجامعة الاسلامية بالجامعة الاسلامية، ط29، 1999.

30- ابن عطية، المحرر الوجيز،تفسير الكتاب العزيز، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ط1، 2001.

31- ابن رشيق، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط5، 1989.

32- ابن جني، المحتسب، تح: علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1386.

33- ابن القيم، التفسير القيم،تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1989.

34- ابن القيم، سورة الكافرون والمعوذتين للإمام ابن القيم، السنة المحمدية، القاهرة، ط1، 1949.

35- ابن تيمة، دقائق التفاسير،تح: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط2، 1983.

36- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999 .

37- ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن،تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

38- الباقلاني، إعجاز القرآني، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1973.

39- الجصاص، أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1984

40- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد حبيب، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1966.

41- حمزة بن يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز، المكتبة العصرية بيروت،ط1، 1666.

42- الحريري، شرح ملحة الإعراب، المكتبة العصرية،تح: أحمد محمد قاسم،دار الكلم الطيب، بروت،ط1، 2002.

43- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تح: المحمد زغلول، دار المعارف، مصر، دط، دت .

44- الرازي، نهاية الاعجاز في دراية الإعجاز، دار صادر، بيروت، ط1، 2004.

45- الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1999.

46- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، شكة الفجر العربي، بيروت، (دط)، دت)
47- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت،ط3، 1986.
48- الزمخشري، المفصل في علم العربية، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2006
49- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، دط، 2005.
50- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.
51- السيوطي، المزهر في علو اللغة و أنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998
52- السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث – القاهرة،ط1، دت.
53- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ط1، 2000.
54- الطبري، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت،دط، دت.
55- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دط، دت،.
56- العجيلي الشافعي: الفتوحات الإلهية، دار إحياء التراث العربي، ط1،دت،
57- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004
58- عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، تح: علي توفيق، مؤسسسة الرسالة، بيروت ط1 1987.
59- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مجمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دط، دت
60- الفراء،معاني القران،تح: احمد يوسف النجاتي ،محمد علي النجار،دار المصرية للتأليف والترجمة –مصر-ط1 (دت)
61- القرطبي، تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، تح: أحمد بردوني، إبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964،.
62- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق ودراسة وتعليق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.

63- المرادي حسن بن قاسم بن عبد الله، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: طه محسن، دار الكتاب، الموصل، ط1،
64- محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، رواية الأمام دار المعرفة، بيروت، ط1
65- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990.
66- محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ،مكتبة وهبة، ط7، دت
67- الهروي، غريب الحديث،تح: محمد خان، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1976.

المراجع:

1- أسامة البحيري،البنية المتحولة، العلم والايمان لنشر والتوزيع،ط1 2009 م.
2- أحمد غالب الخرشة، الانزياح في القرآن الكريم، الأكاديمون، الأردن،ط1، 2014.
3- أحمد محمد الحملاوي، شذى العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن،
4- مكتبة رشد، الرياض، دط، دت، ص5.
5- حسين طبل ،أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي،القاهرة-ط1، 1998
6- حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف ، القاهرة، ط4(دت).
7- الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 2004.
8- تمام حسان، ، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب،ط5، 2006.
9- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1، 2002.
10- تمام حسان الأصول ، دراسة ابستمولوجية الفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، ط2، 2000.
11- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا ، ط1، 1983.
12- رمضان عبد التواب، الصيغ الصرفية في اللغة الغربية،مكتبة بستان العرفة، ط1، 2006
13- رضوان مسيسي عبد الله جاب الله، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار النشر للجامعات، مصر ، ط1، 2007، .

14- سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.
15- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه و إجرائته، دار الشروق، ط1 1996.
16- صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان، دمشق، 2009.
17- عبد العزيز عتيق،علم المعاني البديع،دار النهضة العربية-بيروت،لبنان،(دط)،(دت).
18- عبد الحليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 1995.
19- عز الدين إسماعيل، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، الناد الثقافي، جدة، 1990.
20- عبد المنعم أحمد هريدي، تصريف الأسماء، دار أبو المجد للطباعة بالهرم، مصر،ط1، 1988.
21- عبد الحميد هنداوي، الاعجاز الصرفي في القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008.
22- عبد السلام مسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2006.
23- عبد الباسط، موسوعة ا الإشارات العلمية في القرآن و السنة دار غريب، القاهرة، 2000، (دط).
24- عبد الموجود متولي بهنسي العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، ،ط1، 1993.
25- فاضل السمرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، الأردن، ط2، 2007. لقمان مصطفى سعيد، الاتساق الدلالي في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، ط1، دت.
26- القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، دار البشير، مؤسسة الرسالة،ط1، 1996.
27- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان، بيروت، الشركة العالية للنشر، ط1، 1997.
28- مصطفى الغلايين، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط28، 1993.
29- محمد العبد، المفارقة القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006.
30- محروس محمد إبراهيم، البنية الصرفية، وأثرها في تغير الدلالة- دراسة تطبيقية على قراءة عاصم-، دار البصائر، مصر، 2007.

31- محمد خير حلواني، المعنى الجديد في علم الصرف ، دار الشرق العربي، بيروت، دط، ت.
32- محمد أمين الخضري، من أسرار الجر في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة، القاهرة، دت.
33- محمد العبد، المفارقة القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006.
34- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ، دار النشر للجامعات، دط، 2011.
35- محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2002.

المجالات :

1- ماجدة صلاح حسين، جامعة السابع من إبريل، المجلة الجامعة، العدد الحادي عشر، 2009.
2- أريف غازي جمال خليفة، تحول البنى النحوية بين التذكير و التأنيث في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، مذكرة ماجستير، كلية، جامعة الشرق الأوسط، ديسمبر 2011.
3- صلاح فضل، علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة، مجلة فصول، العدد 57، 2012.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل: مصطلحات ومفاهيم	4
مفهوم العدول	5
مفهوم الصرف	11
مفهوم العدول الصرفي	12
مفهوم الدلالة الصرفية	13
الفصل الأول: الدلالة الصرفية وأنواع العدول وغاياته	15
المبحث الأول: الدلالة الصرفية	16
تعريف الاسم ودلاله	17
دلالة المشتقات	18
دلالة الجمع	31
تعريف الفعل ودلالته	33
دلالة زمن الفعل	38
المبحث الثاني: أنواع العدول	42
العدول الاسمي	43
العدول في الجنس	44
العدول في المعرفة والنكرة	48
العدول بين المشتقات	50
العدول في المصدر	51
العدول في العدد	55
العدول الفعلي	57
العدول في زمن الأفعال	58
العدول بين الصيغ المزيدة وبين الفعل المبني للمعلوم والمجهول	61
المبحث الثالث غايات العدول	62
البعد المعنوي	63
البعد الفني (الايقاعي)	65

البعد التداولي	69
الفصل الثاني: نماذج لصيغ العدول الصرفي في القرآن الكريم	73
المبحث الأول: العدول الاسمي	73
العدول في المشتقات	74
العدول في المصادر	78
العدول في الجنس	83
العدول في االعدد	87
المبحث الثاني: العدول الفعلي	98
العدول في زمن الأفعال	98
العدول في تركيب الأفعال المجردة والمزيدة	104
العدول عن بناء الفعل للمعلوم إلى بناء الفعل للمجهول والعكس	108
العدول عن الاسم إلى الفعل والعكس	117
المبحث الثالث: نماذج عدول الصرفي في سورة الكافرون والآيات الأولى من سورة النازعات	118
النموذج الأول: سور ة الكافرون	119
النموذج الثاني: الآيات الأو لى من سورة النازعات	121
خاتمة	129
قائمة المصادر والمراجع	131
فهرس الموضوعات	137

.

ملخص:

يرصد هذا البحث ظاهرة العدول الصرفي في الخطاب القرآني من خلال تأصيل مفهومها وبيان الدلالة الصرفية للأبنية من أجل تفسير غايات العدول ولطائفه، وإبراز أنواع الظاهرة وصورها منها العدول الاسمي والعدول الفعلي والعدول الذي يقع بين الاسم والفعل، كما استهدف البحث بيان أبعاد وغايات ظاهرة العدول الصرفي، وقد استهدف الفصل الثاني من البحث تحليل نماذج لصيغ العدول من القرآن الكريم وبيان أسرار عدول من صيغة إلى أخرى ، وتجلية بلاغة هذا العدول، وقد تبين لنا أن العدول من صيغة إلى أخرى هو عدول عن المعنى أيضا، لأن كل زيادة في المبنى هي زيادة في العنى.

الكلمات المفتاحية: العدول- الصرف- الدلالة - القرآن الكريم.

Abstract:

The present study is devoted to deal with a prominent linguistic phenomenon which is referred to the Morphological deviation in the Holy Qur'an" following a semantic approach. Therefore, it aims at revealing all the semantic implications of the Qur'anic text and showing all the different implicit means of artistic expression.

It is worth mentioning, here, that any deviation from a structure to another is usually accompanied by a corresponding deviation in meaning; particularly when all the structures have the same linguistic stem from which they are derived. Therefore, the reasons behind any deviate ion in the Qur'anic text are made explicit.

Key words : referred- Morphological- the semantic- Qur'an